

الانتماء... والانتماء الفلسطيني... الحقيقة الغائبة

الانتماء الفلسطيني

Alaintima'a...walaintima' alfilastini... Alhaqiqat alghayiba
alaintima' alfilastiniu

د. خالد خطاب* / د. الأغا أحمد سعيد

جامعة فلسطين

تاريخ الارسال: 2018 / 02/14 تاريخ القبول: 2018/04/05 تاريخ النشر: 2019/01/16

ملخص البحث

يقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على ظاهرة مهمة وخطيرة يعاني منها المجتمع الفلسطيني بشكل خاص والمجتمعات العربية بشكل عام الأ وهي ظاهرة الانتماء، حيث يقوم بشرح الانتماء ومقتضياته ومكوناته وخصائصه ومقوماته والعوامل المؤثرة فيه وكذلك العوامل المؤدية إلى ضعفه، وتجسيد ذلك على الواقع الفلسطيني وأزمة الانتماء الفلسطيني، مع تقديم رؤية للخروج من هذه الأزمة عبر برنامج تربوي يلامس حاجات المواطن الأساسية ويعمل على تحقيقها.

الكلمات المفتاحية: الوطنية – الانتماء – الولاء.

Abstract:

This research shed light on the serious and important phenomenon of Palestinian society in particular and Arab societies suffer in general, namely the phenomenon of belonging, where he explains the sense of belonging and its requirements and its components and its characteristics and its elements and the factors affecting it, as well as the factors leading to weakness, and reflect that on the Palestinian situation and the crisis in the Palestinian affiliation, to provide a vision to get out of this crisis through the educational program touches the basic needs of citizens and working to achieve them.

المقدمة

هناك قضايا مهمة في حياتنا لا نوليها الاهتمام الذي تستحقه رغم أهميتها ومن تلك القضايا مفاهيم الانتماء الولاء الوطني وتعزيز روح المواطنة وغرسها في النفوس والقلوب، بل تعتمد البعض من أفراد وقوى سياسية وحزبية إلى تسييس ذلك ومع التمادي في استخدام عناصرها ومكوناتها بطريقة انتهازية وتوظيفها في الصراعات السياسية، غير مدركين ما قد يؤدي مثل هذا التوظيف من عوائق جمة للتطور الاجتماعي المنشود وبناء أطر الأمن والاستقرار والحيلولة دون ترسيخ دعائمها إلى جانب ما يتولد عن

*الباحث المرسل: kh.khattab@up.edu.ps

مثل هذا التوظيف لمفهوم المواطنة والمساواة من تناقضات جوهرية وشروخ في بنية المجتمع والإسهام في تمزيق النسيج الاجتماعي وتنمية ثقافة الكراهية والتباغض بين أبنائه .

لا أظن أن هناك إنساناً سوياً لا يقر بضرورة وأهمية تنمية قيم الولاء الوطني وحب الوطن وليس هناك إنسان يدعي الحرص على هذا الوطن لا يستهجن ولا يستنكر عملية التسييس المفرط لهذه المعاني النبيلة وتوظيفها على أسس حزبية لتحقيق مكاسب آنية، رغم علمها أن مخرجات مثل هذه الممارسات تكبح سيرورة نمو حياة ثقافية وسياسية وفكرية عصرية وتؤدي إلى المزيد من الإفقار للحياة السياسية تضر أول ما تضر تلك القوى الحزبية والسياسية التي لا تقر بصلاحيات النظام وأهليته وفعاليتها إلا بالقدر الذي يحقق لها مصالحها، متناسية أنها تسهم في خلق فراغ شعبي حولها مما يقودها إلى التورط بصورة أو بأخرى إلى مخازي العنف المادي أو الرمزي لإثبات وجودها.

لا أريد التحدث كثيراً عن السلوكيات الانتهازية لبعض القوى الحزبية إلا في حدود الإشارة إلى الآثار الضارة التي تنال من قيم الولاء الوطني وترسيخ معاني حب الوطن وهي القيم التي تعتبر ميداناً رحباً للمفاضلة بيننا، فالأفضلية ليست لـ "سين أو صاد" من الناس، بل لمن يحب هذا الوطن أكثر ولمن يسعى بتقدم وثبات لتنميته وتطويره والأفضلية لمن يضحي من أجله ويحرص على سلامة حاضره ومستقبله والأفضلية لكل من له تاريخ مشرف ولكل من ينهض بهذه الإنجازات والدفع بها قدماً خدمة لكل أبناء فلسطين التي نتشرف جميعاً بالانتماء إليها.

فمفهوم الانتماء والمواطنة التي ندعو الجميع للتحلي بها تعني حب الوطن، هذا الحب الذي ينبغي أن يكون في ضمائرنا ووجداننا، وليكن دورنا هو الإسهام في التأسيس لجملة من المشاعر والسلوكيات الإيجابية للإنسان تجاه وطنه ومجتمعه..

إن التجاهل المتعمد لهذه القيم من قبل النخب والأحزاب والتنظيمات السياسية ومنظمات المجتمع المدني سيؤدي إلى نتائج سيئة ستضر بالجميع وسيكون الضحية هم الأبناء الذين ستدمر أحلامهم لا سمح الله.

ولما كانت المدرسة ولا تزال تشكل فضاء اجتماعياً للتنشئة والتربية والتكوين، ومجالاً لإنتاج القيم الأخلاقية وذات بعد قيمي حاسم في بلورة سلوكيات أخلاقية تصب في الحياة الاجتماعية، كان لا بد أن تجسد هذه المؤسسة قيم المجتمع وأن تساهم في الرقي بها وفي بناء قدرات التمهيد والنقد والاختيار العقلي المسئول لدى الناشئة بلوغاً للمواقف الأخلاقية الإيجابية الفردية والجماعية.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول ضعف الانتماء الوطني لدى الأجيال الجديدة بسبب التعبئة الخاطئة لكثير منهم واستغلال القوى السياسية والجماعات الشباب بغرس ثقافة الكراهية والحقد والتخوين

والتكفير والإقصاء وذلك لسذاجة الشباب وقلة خبرتهم ودرايتهم واحتياجهم إلى انتماء يحفظهم من الضياع ويصبرهم في بوتقة الوطن ومصالحة العليا.

إن ظاهرة ضعف الانتماء والولاء لدى الأجيال الجديدة على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية بمكان، وذلك لما لهذه الظاهرة السلبية من آثار مباشرة على الوحدة الوطنية والمنظومة الاجتماعية والأمن القومي، فلا بد من التكاتف والتعاون من أجل معالجة هذا الضعف؛ حتى لا يؤدي بثروة الوطن إلى الهاوية، ألا وهم النشء والشباب.

وإذا كانت التربية الوطنية بمفهومها العلمي الحديث تقوم على توفير وسائل بناء الشخصية الوطنية من جوانبها السياسية والتاريخية والمعرفية العامة، فإن ما يدور في الشارع الفلسطيني لا يشير إلى شيء من ذلك.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث مما يلي:

1. انه يستمد أهميته من أهمية الموضوع الذي يتناوله وأهمية المعلومات التي يقدمها، فهو يسهم في تعزيز مفهوم الانتماء الوطني بشكل خاص.
2. كون الانتماء أحد دعائم بناء الفرد والمجتمع والأمة، وبدونه لا يمكن للفرد أن يدافع عن وطنه ومجتمعه ويحميه أو يساهم بإخلاص في بنائه.
3. كون الانتماء يسهم في بناء وتماسك المجتمع استقراره
4. كون الانتماء من أهم القيم التي يجب على المؤسسات التربوية أن تحرص على تنميتها لدى الطلاب، نظراً لما يترتب عليها من سلوكيات إيجابية، ينبغي غرسها في نفوس الناشئة
5. تكمن أهمية الولاء الوطني في كونه مقياساً حقيقياً لحب الوطن والإيثار والتضحية في سبيله وحماية مقدراته والدفاع عن وحدته وأمنه واستقراره وبذل الغالي والنفيس للحفاظ على كرامته وسيادته.
6. كون نصف مشاكلنا تأتي من ضعف الشعور بالانتماء الولاء للوطن.

أسئلة البحث:

ما الذي يجعلنا نهتم في هذه الآونة بالذات بقضية الانتماء؟ هل شبابنا يعاني من ضعف الشعور بالانتماء؟ ولماذا؟ هل هناك وسيلة لاستعادة روح الانتماء؟ كيف؟

أهداف البحث:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- بيان مفهوم وحقيقة الانتماء والولاء بشكل عام .
- 2- تنمية الشعور بالانتماء لدى الأفراد والاعتزاز بالوطن .
- 3- رصد المعوقات التي تؤثر على الانتماء والولاء الوطني .

4-الكشف عن أثر إشباع الحاجة إلى الانتماء منهج الدراسة:

اتبع الباحث في هذه البحث المنهج الوصفي التحليلي لرصد أبرز ملامح الولاء، وتحليل العوامل التي ربما تكون مسئولة عن أزمة الولاء في المجتمع الفلسطيني، والوقوف على أبرز مظاهر هذه الأزمة في إطار من التفسير والتحليل.

خطة البحث:

اقتصر البحث على أربعة مباحث، كل مبحث منهما تناول موضوعاً من موضوعاته بحيث شكلت في مجموعها هذا التناسق الذي خدم أهداف البحث.

ودرس المبحث الأول مفهوم الانتماء والولاء في ثلاث مطالب وخمس فروع. ودرس المبحث الثاني الحاجة إلى الانتماء في مطلبين، ودرس المبحث الثالث ضعف الانتماء والعوامل المؤثرة فيه في ثلاثة مطالب، وأخيراً درس المبحث الرابع كيفية غرس حب الوطن عند أبناءه.

المبحث الأول: مفهوم الانتماء والولاء.

المطلب الأول: تعريف الانتماء:

يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب والانسجام والارتباط والتوحد والاندماج لكيان ما يشعر فيه بالأمان، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن. وعلى هذا تدور كل معاني الانتماء ما بين اللغة والاصطلاح.

أ-الانتماء لغة، لا يخرج الانتماء عن ثلاثة معانٍ، هي:

1-الانتساب، يقال: عُرف بانتسابه لقبيلة كذا، أي انتسابه لها.

2-الارتفاع والصعود، يقال: انتهى الطير أي ارتفع، وانتهى إلى الجبل أي صعد.

3-الزيادة، يقال: انتهى فلان إلى فلان، إذا ارتفع إليه وازداد (1)

ب-الانتماء اصطلاحاً: هو "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرتة والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى"(2).

وهو أيضاً " شعور أعضاء الجماعة بالوحدة والارتباط الوثيق، ومظاهره توحد أعضاء الجماعة واهتمامهم بمصالح مشتركة وشعور بالانتماء كل للآخر إلى جانب إحساسهم بالهدف المشترك"(3).

¹ الفروز آباد - قاموس المحيط - ص 1727؛ ابن منظور - لسان العرب - ج 15، ص 342.

² نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي للشباب المصري: دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999 ص 57.

³ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، 1995، ص 162.

وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة؛ حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة⁽¹⁾ ورأت عبد الله أن الانتماء هو دافع يحفز الفرد للانضمام لجماعة معينة، وإقامة علاقات وثيقة معها تقوم على المشاركة والمقارنة الاجتماعية، وتحمل المسؤولية، ويشعر معها بالأمان والرضا عن الجماعة⁽²⁾.

وفي علم النفس يقصد بالانتماء: تلك العلاقة المنطقية بين الفرد والصنف الذي يدخل فيما صدقه، وبذلك يكون اللائق انتماء: هو شعور المرء بأنه مُبعد عن البيئة التي ينتهي إليها. لذلك عرفت خريبة الانتماء بأنه: "احتياج إنساني نفسي لجماعة تشبع حاجته للحب والأمن النفسي والتقبل الاجتماعي والاستماع لأرائه وإعطائه الفرصة للتعبير عن ذاته، ومشاركته في حل صراعاته الداخلية والخارجية، وتخفيف ضغوط الحياة اليومية، ومساعدته في توفير سبل الحياة والإنجاز والرقى، مما يجعل الفرد يتوحد بالجماعة، ويبذل قصارى جهده للالتزام بمعاييرها وقواعدها، ويشعر بالأمان النفسي بينها ويهدد بالانغتراب النفسي عند الانفصال عنها، ويشعر بالفخر كلما كانت ناجحة وآمنة مستقرة"⁽³⁾. وذكر والاش وآخرون⁽⁴⁾ أن الانتماء هو حاجة بشرية جوهرية إلى الارتباط بالآخرين، وتكوين علاقات قوية ومستقرة معهم.

ولعل أنقى حالات الانتماء وأرقاها، الانتماء الفكري والذي يتجاوز بمضمونه كل الحالات الأخرى، والتواصل على هذا الأساس له جذوره وقوته أكثر بكثير من الحالات الأخرى. فالانتماء شعور بالترابط وشعور بالتكامل مع المحيط، وهو بذلك أساس الاستقرار⁽⁵⁾.

وتؤكد التعريفات السابقة على ما يلي:

1. عضوية الفرد في جماعة انتمائه.
2. توحد الفرد بالجماعة التي ينتهي إليها.
3. الشعور بالفخر والرضا لجماعة انتمائه.
4. إحساسه بمكانته داخل جماعة انتمائه.

¹ أحمد ذكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978 ص 16.

² عايدة ذيب عبد الله (2008). علاقة الانتماء بتقدير الذات لدى طلبة الصف الخامس الأساسي في مديرية التربية والتعليم لمنطقة عمان الثالثة. مجلة دراسات الطفولة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 11 (40)، ص 226

³ خريبة، صفاء صديق (2011). العلاقة بين العنف والانتماء لدى طلبة الجامعة. مجلة دراسات عربية في علم النفس، 10 (4)، ص 656

⁴ Walsh, Shari; White, Katherine & Young, Ross (2009). Phone connection : A qualitative exploration of how belongingness and social identification relate to mobile phone use amongst Australian youth. Journal of Community & Applied Social Psychology, V 19, 226

⁵ أحمد ذكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1985، ص 16.

5. التقبل المتبادل بين الفرد وجماعة انتمائه.

6. تمثل الفرد للقيم والمعايير السائدة في جماعة انتمائه.

7. نصر الفرد لجماعة انتمائه والدفاع عنها.

ومن هنا يخلص الباحث من التعريفات السابقة للانتماء إلى أن الانتماء هو: "ارتباط الفرد بالجماعة، وتوحيده معها، وشعوره بالتقبل والاستحسان والأمان والطمأنينة بينها، واهتمامه بأمورها والعمل من أجلها، وحصوله على التقدير والاهتمام المناسب من جانبها".

الفرع الأول: أبعاد الانتماء:

يشتمل تعريف الانتماء على الأبعاد التالية: الأمان – التوحد – التقدير الاجتماعي – الرضا عن الجماعة – تحقيق الذات – المشاركة – القيادة – الإطار المرجعي^(١)

1- التوحد: التوحد مع الجماعة، هو شعور الفرد بالوحدة المصيرية معها، والتأثر بها لدرجة انه يرى في خيرها خيره وكأنها امتداد لنفسه، يسعى من اجل مصلحتها وببذل كل جهده من اجل إعلاء مكانتها ويشعر بالفوز إن فازت أو بالأمن كلما خيم عليها الأمن . فالتوحد هو شعور الفرد بالوحدة والاندماج مع أفراد جماعته، ويكونه جزءاً منهم يرتبط بهم ويعيش أحلامهم وآمالهم وأهدافهم، متقبل ومستحسن من جانبهم، ويتخذهم إطاراً مرجعياً لأفكاره وأعماله من نفس طموحاتهم وأفكارهم^(٢).

2- الأمان: هو شعور الفرد بالأمن، والطمأنينة والهدوء والاستقرار والثقة نتيجة ارتباطه واتصاله بالآخرين.

3- الرضا عن الجماعة : هو مجموعة المشاعر الوجدانية التي يشعر بها الفرد نحو الجماعة. هذه المشاعر قد تكون ايجابية (الشعور بالسعادة) أو سلبية (الشعور بالاستياء).

وكلما كان هناك تفاعل بين الفرد وأفراد الجماعة التي يعمل فيها، وكلما كانت هذه الجماعة وسيلة من وسائل إشباعه لحاجاته من خلالها فان ذلك يزيد من درجة الرضا لدى الفرد والعكس صحيح. وذكر كل من الدردير وحسين أن الانتماء ليس سلوكاً لذاته، وإنما هو طريق متسع للإشباع القائم على الحب الخلاق الذي يتضمن الرعاية المتبادلة^(٣).

^١ سحر الكحكي، دوافع الالتئاء لدى بعض الشرائح الاجتماعية المختلفة، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1988، ص 25-32

^٢ د أسامة المزني -علم ديناميات الجماعة -دراسة في سيكولوجية الجماعة – دراسة منشورة

^٣ عبد المنعم أحمد الدردير، بدوي محمد حسين (1998). بعض العوامل النفسية لدى الشباب الجامعي المنتمي وغير المنتمي "دراسة مقارنة".

المجلة المصرية للدراسات النفسية، ص 58

- 4- المشاركة : هي تفاعل الفرد عقلياً وانفعالياً مع موقف الجماعة بشكل يشجعه على المساهمة في تحقيق أهداف الجماعة. ومساهمة الفرد في الأعمال والأنشطة المختلفة التي تخدم الجماعة، والاهتمام بأمورها، والعمل من أجلها والدفاع عن مصالحها (1)
- وتظهر المشاركة قدر الفرد وقدرته على القيام بواجباته وتحمل مسؤولياته بضمير حي وروحية صافية، وإرادة ثابتة، والمقصود هنا مشاركة الفرد في أعمال تساعد في تحقيق الهدف الاجتماعي حين يكون مؤهلاً اجتماعياً لذلك، ولها ثلاثة جوانب:
- أولها، التقبل، أي تقبل الفرد للدور أو الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها والملائمة له في إطار ممارسة سليمة.
- وثانيها، التنفيذ، حيث ينفذ الفرد العمل وينجزه باهتمام وحرص ليحصل على النتيجة التي ترضيه وترضي الآخرين وتخدم الهدف
- وثالثها التقييم، حيث يقيم كل فرد عمله وفقاً لمعايير المصلحة العامة والأخلاق (2).
- 5- الانفعال مع الجماعة، حيث يسير الفرد وبصورة آلية حالتها الانفعالية لمجرد أنه يعتبر نفسه في قلب المسؤولية فيتعاون ويتفاعل بحماس تلقائياً مع الجماعة ويرى أن مساهمته لها موضوعية ومنطقية. أما الانفعال بالجماعة، فيحدث بصورة إرادية حيث يأتي تضامنه مع الجماعة بناء على قناعة ذاتية منه، فيجعل أهدافها محور اهتمامه ويتفاعل معها بصدق وشفافية (3).
- 6- التقدير الاجتماعي: هو شعور الفرد بالتقدير والاحترام والقيمة والأهمية من المحيطين به فيشعر بمحبتهم والتقرب إليهم والأنس بمعيتهم.
- 7- الفهم: يعني إدراك الفرد للظروف المحيطة بالجماعة، ماضيها وحاضرها وقيمها واتجاهاتها، والأدوار المختلفة فيها. كما يقتضي تقدير المصلحة العامة والدفاع عن الوطن والعمل على رفعة وازدهاره (4).
- 8- تأكيد الذات: هو بلوغ الفرد لبعض غاياته وأهدافه في الحياة .

¹ د أسامة المزني -علم ديناميات الجماعة -دراسة في سيكولوجية الجماعة - دراسة منشورة

² مجلة أحمد محمود أحمد 1985: الشخصية بين الفردية والإنتماء دراسة في سيكولوجية العلاقة بين الفرد والمجتمع - رسالة دكتوراه غير منشورة - أدب عين شمس.

³ قدرى حنفى: التنشئة الاجتماعية للطفل العربي بين الوحدة والتعدد - مجلة النيل الهيئة العامة للاستعلامات العدد 28 نوفمبر 1986 ص 67-61.

⁴ د أسامة المزني -علم ديناميات الجماعة -دراسة في سيكولوجية الجماعة - دراسة منشورة

إن مفهوم تحقيق الذات يعتمد على العوامل التي ترتبط بالفرد نفسه وما يمتلكه من قدرات وإمكانات لبلوغه بعض غاياته وأهدافه في الحياة من جهة، ومن جهة أخرى يعتمد على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها والتي تقف عائقا أمام تحقيق تلك الأهداف.

وتأكيد الذات أو الثقة بالنفس هي مهارة اجتماعية تمكن الفرد من مواجهة الآخرين والدفاع عن الحقوق العامة والخاصة كما تمكنه من الأقدام الاجتماعي وتوجيه النقد والقدرة على المساومة وإبداء الإعجاب والتقدير للآخرين وعدم التورط في أمور لا يريد لها حرجا من الآخرين والقدرة على التعبير عن الاحتجاج والغضب وتوجيه العتاب والاعتذار العلني والاعتراف بقدرات الذات وضبط النفس والمصارحة والاستقلال بالرأي⁽¹⁾.

الفرع الثاني: الانتماء في مقابل الاغتراب:

ضعف الانتماء يولد الاغتراب النفسي لدى الشباب، وهو هروب من الواقع، وانسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة⁽²⁾.

ويعرف أحمد خيرى عدم الانتماء بأنه شعور الفرد بأنه لا ينتسب لجماعته الأساسية ولا يرضى عنها ولا يشعر بالفخر بها وهو رافض للقيم السائدة وللثقافة الخاصة بمجتمعه مع شعور عام بالغربة وعدم الفخر وعدم الامتنان⁽³⁾.

ويرى سعد المغربي أن الاغتراب علاقة فجة غير سوية تتضمن الشعور بعدم الانتماء وعدم القدرة على منح الموضوع الولاء والحب الناضج البناء⁽⁴⁾.

وفي ضوء ما سبق يتضح أن الاغتراب يعد ضرباً من الاضطراب النفسي يعنى الانفصال عن الذات والمجتمع، والابتعاد عن المشاركة في أنشطته، وهو تعبير عن عدم

الانتماء. فقد أكد ريز (Reyes) أن الشعور المنخفض بالانتماء يعد منبئاً قوياً للشعور بالاغتراب⁽⁵⁾.

أما أسباب الاغتراب فكثيرة وأهمها مشاكل المجتمع المحيط بالشخص التي تنعكس عليه سلبا وخاصة فئة الشباب، وتؤدي مشاكل التفكك الأسري إلى إحباط عمليات التواصل والتفاعل بين الأفراد، فضلا

¹ الهامى عبد العزيز 2000-علاقة الأفكار اللاعقلانية بالسلوك التوكيدي لدى طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة المنيا -المجلد السادس والثلاثون. - ص 20

² أحمد خيرى حافظ: سيكولوجية الاغتراب لدى طلاب الجامعة - دراسة ميدانية، رسالة دكتوراة غير منشورة -آداب عين شمس 1980 - ص 170

³ أحمد خيرى 1980 - المرجع السابق ص. 120

⁴ سعد المغربي -الاغتراب في حياة الانسان " في كتاب الجمعية المصرية للدراسات النفسية - الكتاب السنوي الثالث -الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1980 ص 254.

⁵Reyes, Amy (1999). Low sense of belonging is a predictor of depression.@http://www.umich.edu/

عن ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض مستوى الدخل، كل ذلك يجعل منهم أفراداً غير فاعلين في المجتمع قلقين من المستقبل بسبب العوز المادي الذي يعتبر من أهم العوامل في إيجاد مفهوم الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

لذلك فقد الشباب الانتماء بعد أن ضاعت أحلامهم وتاهت طموحاتهم وتحطمت آمالهم وفقدوا هويتهم. فحالة ضعف الانتماء هي التي قادت الشباب إلى الاغتراب (1).

الفرع الثالث: أقسام الانتماء:

على ضوء حقيقة الانتماء فإن هناك من يقسم الانتماء إلى ديني ووطني، وهو بذلك يغفل عن أنواع أخرى لا تجد لها مكاناً بين القسمين، وقسم (أسعد) الانتماء إلى: انتماء سياسي، وانتماء وطني، وبيئي، وعرقي، وأسري، ومهني، واقتصادي، وتاريخي، وروحي، وديني وانتماء ثقافي (2).

(أما عسلي) فقسم الانتماء إلى ثلاثة أقسام هي: الانتماء للأسرة، والانتماء للمجتمع، والانتماء للوطن (3). أما (الريان) فقد قسم الانتماء إلى:

1. انتماء حقيقي:

يكون فيه لدى الفرد وعي حقيقي لأبعاد الموقف، والظروف المحيطة بوطنه داخلياً وخارجياً، ويكون مدركاً لمشكلات وقضايا وطنه، وقادراً على معرفة أسبابها الحقيقية وطبيعة هذه المشكلات، وموقفه منها، والاكتراث بآرائها ونتائجها، ويكون المنتهي هنا مع الأغلبية ويعمل لصالحها، ويؤمن بأن مصلحة الأغلبية والعمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره، هو الهدف الذي يجب أن يسمو على الفردية والأنانية.

2. انتماء زائف:

هو ذاك الانتماء المبني على وعي زائف، بفعل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي قد تشوه حقيقة الواقع في عقول المواطنين، وبالتالي قد تصبح رؤيتهم للأمور والمواقف غير حقيقية وغير معبرة عن الواقع الفعلي، ومن ثم يصبح الوعي والإدراك لهذا الواقع وعياً مشوهاً وبالتالي ينبثق عنه انتماء زائف ضعيف.

¹ طه، فرج عبد القادر وقنديل، شاكراً عطية ومحمد، حسين عبد القادر وعبد الفتاح، مصطفى كامل (2005). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. ط3، أسبوط: دار الوفاق للطباعة والنشر. ص110

² يوسف أسعد: 1992-الانتماء وتكامل الشخصية - مكتبة غريب للنشر والتوزيع، القاهرة. - ص135-37

³ عزت عسلي، 2000-القيم وعلاقتها بالانتماء لدى كلية الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة -جامعة الأزهر، غزة - ص 42-44

3. انتماء لفئة بعينها: أحيانا يسعى الإنسان للانتماء لجماعة معينة أو بنية اجتماعية معينة (أو يدعي الانتماء إليها) من أجل تحقيق دوافعه أو مصالحه الخاصة فقط، وفي هذه الحالة يكون انتماءه ضعيفاً أو كاذباً⁽¹⁾.

وهنا يعمل الفرد على مصالح الفئة التي ينتمي إليها دون سواها من الفئات داخل المجتمع الواحد، وبالرغم من أن وعيه بها وعي حقيقي وانتماء لها انتماء حقيقي، إلا أنه قياساً على انتمائه للمجتمع ككل فهو وعي غير حقيقي وانتماء غير حقيقي، لأنه يعمل وينتمي لجزء من الكل فقط، فلا يعي ولا يدرك ولا يعمل إلا لصالح هذا الجزء، ويترتب على ذلك آثار وخيمة من تفتيت لبنية المجتمع وربما كان سببا لوجود الصراع بين فئاته، ويزداد حدة كلما ازدادت الهوية بين هذه الفئات والمحصلة النهائية تدهور المجتمع وتفككه، إذ ستعمل كل فئة في الغالب للأعم لصالحها هي فقط، ولو على حساب غيرها من الفئات⁽²⁾.

وهكذا تتعدد الكيانات، التي ينتمي الفرد إليها (مثل انتماء الفرد للإنسانية، الوطن، الأسرة، الدين، المهنة، المؤسسة، والجماعة)⁽³⁾، الذي يتأثر الانتماء لها بضعفها أو قوتها، ويرتبط قوة الانتماء لها بتوافر ثلاثة عناصر رئيسية، وهي:

1. تحقيق الذات

2. الارتباط بجماعة.

3. وجود قضية.

ومتى ما ضعف أحدها زادت الفرصة لتخلي الفرد عن ذلك الانتماء والبحث عن انتماء آخر.

المطلب الثاني: تعريف الولاء.

الولاء في اللغة.

من خلال المعاني اللغوية يتبين للباحث أن الولاء في اللغة يأتي على معاني متعددة منها: الوفاء والإخلاص والتأييد والقرب والدنو والمحبة والنصرة والصدقة والإتباع والتحالف بين اثنين فأكثر، أو جماعتين فأكثر، وقد يكون في الخير، وقد يكون في الشر.

¹ نبيل حاجي نائف -الانتماء. أصوله وعوامل نشوئه. أبعاده وتأثيراته - 16-11-2013 http://arabic.nabeelnayef.com/index.php/2013-11-16-20-18-44/20-2014-04-28-07-00-54

² محمد العريان - "الدين والديمقراطية منهج نظري" ورقة قدمت في: مؤتمر حول الدين والديمقراطية، التي نظمتها الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا، 27 نوفمبر 1998، ص 85

³ قاسم محمد الدروع، عبد الله راشد والعرافان 1999م نحو تربية وطنية هادفة - ص 33، 34

معنى الولاء اصطلاحاً:

إن معنى الولاء في الاصطلاح لا يبتعد عن المعنى اللغوي فقد جاء في الدرر السنية أن: "أصل الموالة الحب، وأصل المعادة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالة والمعادة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال. والوليّ ضدّ العدو"(١).

وعرف دريفر (Drever) الولاء بأنه اتجاه أو عاطفة اهتمام وإخلاص شديد تجاه شخص أو جماعة أو رمز أو واجب أو قضية، والذي ينشأ من عاطفة حب، لكنه ينطوي أيضاً على توحد الشخص مع موضوع الاهتمام الذي يكن له الولاء(٢).

ورأى (Fletcher) الولاء بأنه تعلق وتشبث الفرد بالجماعة والإخلاص لها (٣).

وذهب فرج طه وزملاءه أن الولاء هو إخلاص وحب شديدان يوجههما الفرد إلى موضوع معين كالوطن، أو مذهب ديني أو سياسي معين أو زعيم أو حزب، بحيث يضحي الفرد بمصالحه الخاصة من أجله، وقد تصل عاطفة الولاء هذه إلى حد أن يضحي الفرد بحياته ذاتها، بل وبحياته أسرته أيضاً لصالح موضوع ولأنه أو دفاعاً عنه أو الدعوة

له ويلاحظ أن الولاء عاطفة تلقائية، وقناعه ذاتية يتبناها الفرد قلبياً وعقلياً، دون أن تفرض عليه (٤).

وعرفه كلينج (Kleing) الولاء بأنه استعداد إرادي وعملي يوجه وجدان الفرد في

صورة أفعال لصالح موضوع الولاء(٥).

وقد جمع الفيلسوف الأمريكي (جوزيا رويس) تلك المعاني في تعريف جامع موجز وبلغ فقال إن الولاء هو (إخلاص شخص لموضوع إخلاصاً طوعياً وعملياً غير مشروط) (٦).

المطلب الثالث: مكونات الانتماء والولاء الوطني:

يشير مفهوم الانتماء والولاء الوطني أنهما يشتملا على المكونات الآتية:

¹ مجموعة من العلماء الدرر السنية في الأجوبة النجدية -تحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (325/2).

² Drever, J. (1982). The Penguin dictionary of psychology. New York: Penguin Books.p 160.

³ Fletcher, G. P. (1993). Loyalty: An essay on the morality of relationships. Oxford: Oxford University Press. P. 32-33.

⁴ فرج طه؛ شاكراً قنديل؛ حسين محمد؛ مصطفى عبد الفتاح (2005). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. ط3، أسبوط: دار الوفاق للطباعة والنشر، ص 893

⁵ Kleing, J. (2007). Loyalty. Available Online at: <http://plato.stanford.edu/entries/loyalty/>. Retrieved on: 25 may 2013.

⁶ إبراهيم كشت -ليس الإتهاء كالولاء - جريدة الراي - تاريخ النشر: الخميس 10-10-2014

الفرع الأول: مكونات الانتماء الوطني:

مفهوم الانتماء الوطني له مكونات متعددة، تختلف تبعاً للزاوية التي يتم تناولها منها، ومن هذه المكونات ما يلي:

1- مكون معرفي : ويتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والقيم التي تدعم الولاء. والقدرات الفكرية والثقافية، مثل: التفكير الناقد، والتحليل، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات... وغيرها، حيث إن المواطن الذي يتمتع بقدرات كهذه يستطيع تمييز الأمور ويكون أكثر عقلانية ومنطقية فيما يقول ويفعل^(١)، كما ينبغي أن يتعرف على المعلومات المرتبطة بطبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه، وبمتطلباته ورموزه ومثله العليا، ومعتقداته وطموحه وأهدافه وآماله^(٢). حيث تمثل المعرفة عنصراً جوهرياً في نوعية المواطن الذي تسعى إليه مؤسسات المجتمع.

هذا وإن من أهم مكونات الانتماء الفلسطيني أن يعرف المواطن القضية التي تؤرقه وطبيعتها وعناصرها ومكوناتها وأبعادها وأثارها.

2- مكون وجداني: ويتمثل في شعور الفرد بالحب الشديد والانتماء والفخر والاعتزاز والتعلق والإخلاص للوطن والارتباط والانتماء الفردي أو الجماعي إلى قطعة معينة من الأرض والتعلق بها، وحب أهلها وأصحابها، والحنين إليها عند التغرب عنها، والاستعداد للدفاع عن كيانها ضد الأخطار التي تهددها^(٣). وهو تعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، لأن أهداف تربية المواطنة لا تتحقق بمجرد كتابتها وإدراجها في الوثائق الرسمية، بل تتحقق من خلال بلورتها كعقيدة وميول وجدانية يؤمن بها الطلاب ويعيش من أجلها^(٤).

3- مكون سلوكي: يشير الجانب السلوكي إلى الخطوات الإجرائية التي ترتبط بتصرفات الإنسان في موضوع الانتماء، فلا معنى للانتماء من غير ممارسة فعلية له على أرض الواقع، لأن الممارسة هي التي تعطيه القيمة التداولية في سوق المواطنة، حيث يصبح بدون ممارسة ترفاً فكرياً لا فائدة منه. فلا بد

^١ عطا أحمد على شقفة -الاتجاهات السياسية وعلاقتها بالانتماء السياسي والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة - رسالة دكتوراه -المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ص 16

^٢ صفاء صديق خريفة، 2011، العلاقة بين العنف والانتماء لدى طلبة الجامعة. مجلة دراسات عربية في علم النفس -ص 654

^٣ عبد الحميد المنشاوي. (2007). تصور مقترح لمقرر لدعم الوحدة الوطنية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية ومعرفة مدى وعي معلمي المواد الفلسفية بأهميتها، المؤتمر العلمي الحادي عشر: التربية وحقوق الإنسان، مايو، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، ص 12، 14

^٤ فتن محمد علي، لورانس بسطا زكري (٢٠٠٢) -دور المدرسة في تنمية تحقيق المتعلم في ضوء تحديات العصر -المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، مصر-ص 54

من ظهور الحب الذي يدعيه الفرد على شكل سلوكيات تتضمن العطاء والبذل والتضحية لصالح الوطن. وبدون ذلك يبقى مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل⁽¹⁾.

الفرع الثاني: مكونات الولاء الوطني:

ذهب كل من باكمان، وفيجيروا وهاردننج إلى تحديد مكونات الولاء بمكونين⁽²⁾ هما:

1. التعلق النفسي.

2. الأداء السلوكي.

بينما ذهب فضل عبد الصمد إلى تحديد مكونات الولاء الوطني في ثلاثة هي:

1. حب الوطن.

2. الإخلاص الوطني.

3. الالتزام الوطني.

وسوف نقوم ببيان معنى كل مكون على حده والمقصود منه.

أولاً: التعلق النفسي: التعلق النفسي بالأرض هو حضورها في الذهن والانشداد الدائم والحنين إليها، وهي أحد أبرز سمات الكائن البشري. ومن أكثر القيم رسوخاً لدى الجنس البشري الانشداد إلى مسقط الرأس حيث تبقى ذات أهمية حيوية لدى الإنسان، وتشغل مساحة من كيانه النفسي والوجداني ويؤكد الشاعر ذلك بقوله:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل.

وقد عبر لفييف من الشعراء القدامى عن ولائهم لأمكنة عزيزة على قلوبهم كالمرايع والمنازل التي غدت «أطلالاً» فتدفق سيل الحنين وفاض سيل الذكريات بأحاديث وقصص، ولعل أبلغ ما جاء في ذلك ما قاله ابن الرومي عن حبه لمنزله الذي نشأ وترعرع فيه - وأراد شخص آخر تملكه منه بالقوة - بأبيات تعد من روائع ما قيل في حب أول منزل للإنسان، وزاد من ذلك الحب استخدامه كلمة «الوطن» بدلاً من المنزل، لتصبح هذه الأبيات من أفضل ما قيل في حب الوطن والحنين إليه، يقول:

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتُهُ النفسُ حتَّى كأنه لها جسدٌ إن بانَ غودرتُ هالكا
وحبَّ أوطانَ الرجالِ إليهم مآربُ قضاها الشبابُ هنالكا

¹ إبراهيم محمد بلولة، (2010). الوحدة الوطنية والقيم المعنوية، مجلة دراسات دعوية، السودان، العدد (20) يوليو، شعبان 1431هـ، ص 9،

² Back man, S. J. (1991). Differentiating between high, spurious, latent, and low loyalty participants in two leisure activities. Journal of park & Recreation Administration, 9(2), 1-17.

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمو عُبُودَ الصبا فيها فحنّوا لذلك
وقد ضامني فيه لثيمٌ وعزني وها أنا منه مُعَصِّمٌ بحبالكا⁽¹⁾
أن مسقط الرأس أو مكان الطفولة يظان في كل الحالات راسخين عالقين في الذات بوصفه تلك البهجة
المفقودة والصفاء المطلق، مهما كان في حقيقته حنوناً أوقاسياً، ساراً أو مؤلماً.
ويبقى السؤال: هل يشاق الإنسان إلى مسقط رأسه لأنه يريد أن يشاق إليه، أم لأنه يستحق الاشتياق
حقاً؟ وهل الحنين إلى الماضي فكرة يبتكرها أغلب الناس لمناورة الحاضر والتغلب على قسوته، أم إنه
يقين يتأتى من أن دهشة اكتشاف الإنسان للحياة في سنواته الأولى تبقى هي الأُولى لأنها لم تتلوث بعد
بخيبات الأمل؟⁽²⁾.

ثانياً: الأداء السلوكي.

إن مفهوم السلوك الوطني يبنى على علاقة الاحترام المتبادل بين الوطن والمواطن، ويعتقد أن منظومة
القيم التي يتحلى بها الإنسان من مهده إلى لحدده تكسبه الوفاء المطلق للوطن حتى تصبح التضحية في
سبيل الوطن هي المحور الرئيسي لهذا السلوك والعمل.
فالانتماء للوطن يتطلب التضحية والنصرة والبذل والعطاء من أجله، والولاء
والانتماء الوطني لا يرتبط بالالتصاق الجسدي للفرد بالوطن، بل يتعدى حدود الوطن
فيحب وطنه ويسعى لرفعته ونصرته في الداخل، والخارج.⁽³⁾
والانتماء الوطني هو الاعتزاز والفخر بالوطن والعمل الجاد الدؤوب من أجل الصالح العام هو الانتساب
الحقيقي للدين والوطن فكراً وعملاً⁽⁴⁾.
الانتماء الوطني: إحساس الفرد بأنه جزء من وطنه، ووطنه يعني الأرض والشعب فيحبهما، ويتعلق بهما،
ويدافع عنهما، ويضحي من أجلهما، ويجود بالغالي والنفيس من أجل كل ذرة من تراب الوطن ومن هنا،
فالعامل المخلص والتضحية وحسن الأداء.
مقياس للانتماء الحقيقي للوطن⁽⁵⁾.
ويشير عبد التواب عبد الإله إلى أن المجتمع إذا كان ديمقراطياً يتيح للفرد الحرية، ويقدر ذكاءه، ويحترم
إنسانيته، ويعدل في معاملته، ويحقق مصالحه وأمنه، فإن ولاءه للوطن يقوي ويتحول إلى أنماط

¹ ابن الرومي أبو الحسن علي بن العباس بن جرجس من الموالى توفي سنة 283 هـ-الشاعر العباسي الشهير قصيده في الحنين الى الوطن

² موقع المدى -الحنين إلى مسقط الرأس جذوره النفسية والاجتماعية - <http://almadapaper.net/sub/03-332/p18.htm>

³ عبد التواب، 1993م -حور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني لدى طلابها "دراسة ميدانية". مجلة دراسات تربوية، (56)، ص 131

⁴ إبراهيم القاعود، و زايد الطاهات،.. (1995م) - « أثر الهياكل الثقافية بف محافظات إريد في ترسيخ الانتماء الوطني »، مجلة مؤتة للبحوث
والدراسات، مج 10، ع 5.

⁵ عبد الرحمان أقصيعة(2000م). مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع الأساس بمحافظة غزة
وعلاقتهم باتنائهم الوطني-رسالة ماجستير غير منشورة -الجامعة الإسلامية، غزة.

سلوكية تتجسد في الحب والعطاء والتضحية من أجل الوطن أما إذا كانت الديمقراطية مزيفة، وغابت الحرية الحقيقية والحياة الحرة الكريمة، وعاش الفرد في عالم الإحباطات حبيساً لقهر السلطة، واستبداد القوانين غير العادلة، فإن ذلك سوف يؤدي إلى غياب ولاء الفرد لوطنه، وزعزعة وضعف جذوره^(١).

ثالثاً: حب الوطن.

لاشك أن حب الوطن من الأمور الفطرية التي جُبِلَ الإنسان عليها، فليس غريباً أبداً أن يُحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشبَّ على ثراه، وترعرع بين جنباته.

كما أنه ليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكانٍ آخر، فما ذلك إلا دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء.

وهنا يجب تأكيد أن الوطنية الصادقة المنضبطة لا تتعارض وتعاليم الدين الإسلامي التي تحت في مجموعها على محبة الوطن وصدق الانتماء إليه، وقد أشارت بعض آيات القرآن الكريم في معرض حديثه عن فضائل الصحابة الكرام الذين هاجروا من ديارهم وضحوا بأوطانهم في سبيل الله تعالى إلى شيء من ذلك، قال تعالى: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} (2).

ليس هذا فحسب فقد أشارت السُّنة النبوية إلى حب الإنسان لوطنه، وهو ما تمثل في حب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة وهي بلده وموطنه الأصلي، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما -أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: " ما أطيبك من بلدٍ ، وأحبك إليَّ ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك "(3). ولم ينس مكة على الرغم من قسوة قريش ففي سؤاله لآبان بن العاص عندما قدم إلى المدينة مهاجراً فقال: يا آبان، كيف تركت مكة؟ فقال: تركت الأذى وقد أعزق، والثمام وقد أورق كناية عن الربيع فاغرورقت عيناه الطاهرتان صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: الإخلاص الوطني.

الإخلاص للوطن هو حب الوطن لذاته وهو يعني تنقية النفس في حبها للوطن من الشوائب والمصالح، وهو شعور وارتباط الفرد الشديد بوطنه لدرجة التوحد ومحاولة إعلاء شأنه وبذل الطاقة والجهد في سبيل تحقيق ذلك دون انتظار مكافئة أو محمده أو ثناء.

¹ عبد التواب عبد اللاه (1993). دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني لدى طلابها "دراسة ميدانية". مجلة دراسات تربوية، (56)،

131 ص

² سورة الحشر: الآية رقم 8

³ الترمذی، الحديث رقم 3926 ، ص 880

قال صاحب المنازل: "الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب" أي لا يمازج العمل ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضاءهم حوائجهم، أو غير ذلك من العلل والشوائب. قيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب. قال الحواريون لعيسى بن مريم: ما الإخلاص لله؟ قال: الذي يعمل العمل لا يحب أن يحمد عليه أحد من الناس^(١). والإخلاص للوطن يجب أن لا يتعلق بأي شيء يشوبه أو يغير لونه وصفائه من مكانة اجتماعية أو منصب أو مسئولية. فهذا الوطن لا يبني ويصير كما نتمنى إلا بإخلاص الإرادات واجتماعها وانصهارها وتحويلها من حالة الذات الفردية إلى الحالة الجماعية.

خامساً: الالتزام الوطني.

الالتزام الوطني هو الإيمان بالقضية التي يكرس الإنسان نفسه من أجلها، وبالأهداف التي يتخذها، وبتصورات الوصول إلى هذه الأهداف من خلال الاستعداد الكامل للبذل والعطاء وتقديم الروح. وفقاً لهذا الإيمان وتحمل كل التبعات والمسؤوليات المترتبة على ذلك.. والقيام بكافة المهمات والواجبات المطلوبة، والتقيد بالمواقف السياسية والنظام السياسي. وبهذا فإن أركان الالتزام هي: أولاً: الإيمان بالقضية والأهداف وبنظرية الوصول إلى هذه الأهداف، وعناصر الإيمان هي القناعة النفسية والذهنية الكاملة.

ثانياً: الارتباط بالوطن بحماس والاستعداد لتحمل كافة التبعات والتضحيات والمسؤوليات المترتبة عليه، بكل ما يمكن أن يعنيه ذلك من مشاق وأضرار وأعباء وأداء للمهمات. ثالثاً: الممارسة العملية لما يجسد كلا من الإيمان وإرادة الارتباط وما يترتب عليهما من مهمات وواجبات. رابعاً: التقيد بالمواقف السياسية وبالبرنامج والنظام الأساسي والإطار والقرارات المتخذة حسب الأصول وان يعكس هذا التقيد نفسه بشكل فعلي وسلوكي وأخلاقي.

المبحث الثاني: الحاجة إلى الانتماء.

المطلب الأول: الانتماء حاجة نفسية فطرية:

يمثل الانتماء إحدى الحاجات الضرورية في حياة الإنسان وهي حاجة تسير في صيرورة دائمة مع مراحل تطوره الإنساني^(٢)، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ومدني بفطرته، لا يستطيع أن يعيش منعزلاً دون الإحساس بالانتماء إلى كيان أكبر منه؛ سواء كان هذا الكيان أسرة، أو قبيلته، أو وطن ودوله، أو حتى

¹¹ محمد مصطفى -الإخلاص: تعريفه، وفضله ودرجاته وآثاره ووسائله في الدعوة إلى الله - موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف -

<http://www.mkataba.org/vb/showthread.php?p=54407>

² مجدة أحمد محمود محمد (1991). تطور السلوك الانتمائي لدى أطفال المرحلة الابتدائية. مجلة دراسات نفسية، ج1، ص 64

العالم الكبير الذي يعيش فيه؛ لأنه من خلال هذه الانتماءات أو بعضها يحقق الإنسان إنسانيته، ويتحقق وجوديًا في مجتمعه⁽¹⁾؛ وقد قدم ماسلو Maslow

الحاجة إلى الانتماء عندما وضع نظاماً هرمياً للحاجات يقوم على أساس أن الحاجات تسير بشكل متدرج، فبمجرد إشباع الحاجات في مستوى ما فإن الحاجات الموجودة في المستوى التالي تظهر مباشرة، ويكون لها الأولوية في الإشباع وهكذا، والحاجات الأولى التي يجب إشباعها هي الحاجات الفسيولوجية التي تمثل قاعدة هذا الهرم "كالهاجة إلى الطعام والشراب"، ويتبعها الحاجة للأمان، ثم الحاجة للانتماء والحب، فالحاجة للتقدير، والحاجة لتحقيق الذات، ويلها بعد ذلك الحاجة إلى الفهم والمعرفة⁽²⁾. ويرتبط إشباع الحاجة إلى الانتماء وغيرها من الحاجات النفسية والاجتماعية بانتماء الفرد إلى جماعة ما، فالجماعة تنشأ استجابة لحاجاته، ويتوقف بقاؤها على إشباع هذه الحاجات. لذلك يعد مفهوم الانتماء من المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان، ويقابله على الضد تمامًا مفهوم الاغتراب الذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته⁽³⁾.

وهكذا يمكننا أن نلخص حاجة الإنسان للانتماء والولاء في الحاجات الاتية:

- 1-بيولوجية: ترتبط بالوراثة والنسل ومكان ولادة الشخص ومرتبطة كذلك بتوفير الحاجات البيولوجية من أكل وشرب وغيرها.
 - 2-نفسية: ترتبط بالرعاية والحب وتوفير الأمان والحماية والتقدير.
 - 3-اجتماعية: ترتبط بتحقيق التواصل والتماسك والتآزر والتضامن.
 - 4-دينية وروحية: تشمل حرية ممارسة الشعائر والمعتقدات الدينية.
 - 5-سياسية واقتصادية: تشمل ممارسة الأعمال الاقتصادية والتعبير السياسي بخصوص قضايا الشخص والمجتمع⁽⁴⁾.
- "فالحاجة إلى الانتماء من الحاجات المهمة التي تتولد لدى الفرد منذ بداية حياته لذلك يتوجه الإنسان -إراديا أو لا إراديا - نحو موضوع ما، أو جماعة ما ليسبع من خلالها حاجته إلى الانتماء، التي غالبا ما تكون ملحة، أو ضاغطة، على المستوى الشعوري واللاشعوري"⁽⁵⁾.

¹ محمد عارة، الانتماء الإسلامي والوطني والقومي: تكامل أم تناقض، مجلة القافلة، العدد الثاني عشر، المجلد الثالث والأربعون، 1415 هـ.

² Zimbarda, Philip & Weber, Ann, (1994). Psychology. New York, Harper Collins College Publishers, p 39

³ كرتشفيلد بالاتش، سيكولوجية الفرد والمجتمع، ترجمة سيد خير الله، حامد الفقي، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1974، ص ص 212-214

⁴ د. زايد بن غير الحارثي -كيفية تنمية وتعزيز الانتماء الوطني - صحيفة الجزيرة - مقال للكاتب - Al Jazirah NewsPaper Wednesday

G Issue 13621 - 13/01/2010 - الأربعاء 27 محرم 1431 العدد 13621

⁵ عبلة إبراهيم: 1993- هيراركية الانتماءات لدى عينة من المثقفين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس. ص 27

فيبقى الفرد بشكل أو بآخر باحثاً عن فكرة أو قيمة أو من يمثلها؛ لأنه الوضع الطبيعي له والذي يشعر فيه أن لحياته فائدة ولوجوده قيمة ولوضعه حماية من الضياع والاعترا ب، وعلى هذا فطر الإنسان (١).
المطلب الثاني: الحاجة الاجتماعية والتوازن النفسي.

فلسفة الانتماء: يأتي الانتماء كاستجابة للجوع الاجتماعي. فالإنسان بحاجة إلى الانتماء الذي هو في جوهره ارتباط وانسجام بين المنتهي والمنتهي إليه.

فعلي الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاهًا وشعورًا وإحساسًا أو كونه حاجة أساسية نفسية – لكون الحاجة هي شعور الكائن الحي بالافتقار لشيء معين، سواء أكان المفتقد فسيولوجيا داخلياً، أو سيكولوجياً اجتماعياً كالحاجة إلى الانتماء والسيطرة والانجاز – أو كونه دافعاً أو ميلاً، إلا أنها جميعاً تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء، حيث يشير مفهوم الانتماء إلى "الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحداً معه مندمجاً فيه، باعتباره عضواً مقبولاً وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه (٢).

لذلك نجد الطفل ينتهي إلى أسرة لارتباطه وانسجامه مع أعضاء هذه الأسرة. ويتطلب الانتماء الإيمان بمبادئ المنتهي إليه. لذلك نجد أن هناك من عرف الانتماء بأنه حالة من التوحد مع الجماعة. بحيث يتأثر المنتهي بكل ما يؤثر على المنتهي إليه. ولقد حرص الإسلام على حالة التوحد هذه بين المسلمين من أجل تعميق الانتماء للجماعة. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وقال أيضاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه». وحين يؤمن الفرد بمبادئ الجماعة ويتوحد معها تسهل عملية التضحية من أجل الجماعة. والتضحية قد تكون بمطالب الفرد الخاصة ورغباته في سبيل الحصول على القبول الاجتماعي. وقد تكون بنفسه وهي أعلى درجات التضحية حيث يعتبر الفرد كل خطر يهدد الجماعة ما هو إلا تهديد لذاته.

لذلك نجد من بين تعريفات الانتماء «أنه الزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى».

وعرف إميل دور كايم الانتماء بأنه «الحالة التي يجد فيها الإنسان نفسه معتمداً اعتماداً عاطفياً واقتصادياً على الجماعة». وهنا نرى أن الفرد يستمد وجوده من الجماعة فهي الجهة القادرة على إشباع حاجاته. وهكذا يكون من السهل على الفرد التضحية من أجل الجماعة، لذلك لا يمكن أن يتحقق للإنسان الشعور بالمكانة والأمن والقوة والحب والصدقة إلا من خلال الجماعة، فالسلوك الإنساني لا

^١ عبد الفتاح الخواجا، (٢٠٠٢) - الإرشاد النفسي والتربوي - دار العملية للنشر والتوزيع - عمان - ص ١٩٨

^٢ شاكراً عبد الحميد سليمان وآخرون، علم النفس العام، القاهرة، دار أرتون للنشر، ط٢، ١٩٨٩، ص ٤٥٣ - ٤٥٤

يكتسب معناه إلا في موقف اجتماعي، إضافة إلى أن الجماعة تقدم للفرد مواقف عديدة يستطيع من خلالها أن يظهر فيها مهاراته وقدراته، علاوة على أن شعور الفرد بالرضا الذي يستمد من انتمائه للجماعة يتوقف على الفرص التي تتاح له كي يلعب دوره بوصفه عضواً فيها^(١).

وبالرغم من تعدد أشكال الانتماء وأهمية كل شكل منها إلى الإنسان؛ لما تحققه له من إشباع نفسي واجتماعي، فإن الانتماء الوطني يمثل الشكل الأكثر أهمية في حياتنا المعاصرة.

والانتماء هو رغبة فطرية لدى الفرد في البحث عن التجمع الذي يتوافق معه في جانب من طاقاته الحيوية (الفكر-العاطفة-السلوك). وفي الانتماء يجد الفرد حاجاته الطبيعية والغريزية، وتزداد حاجة الفرد للانتماء في الأوقات الصعبة والأزمات، حيث يسعى الفرد إلى الارتباط بالآخرين، باعتبار هذا الارتباط يقلل من القلق الذي يعانيه الفرد في تلك الأوقات الضاغطة^(٢).

وكذلك تزداد الحاجة للانتماء عند التعرض للضغوط والخوف والضعف، فالخوف الناجم عن القلق يزيد حاجة الشخص للانضمام للآخرين المارين بالموقف نفسه أو من يمكنهم المساعدة. فيلجأ الفرد للجماعة التي تحقق له المكاسب بالانتماء لها فتحميه وتعطيه من المهام، التي يرى فيها ما يحقق ذاته وتجمعهم على قضية واحدة، فيتبادلون الأدوار للحفاظ على الانتماء الذي يجمعهم مهما كانت أهدافه لأن بتقاربهم قوة لمواجهة الأخطار المشتركة.

وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الفردي في الآتي:

- تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده.
- الشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالأمن والطمأنينة.
- تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي إليها اكتسابها.
- تمكين الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل ايجابياً مع أفراد المجتمع.
- مساعدة الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط، يستغل فيه قدراته ويكتشف قدرات أخرى.

^١ عثمان بن صالح العامر، أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي: دراسة استكشافية، اللقاء السنوي الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة ١٤٢٦هـ، ص ٦. + سمر الكحكي، دوافع الانتماء لدى بعض الشرائح الاجتماعية المختلفة، ماجستير غير منشورة، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، ص ٢٥ - ٣٢.

^٢ p336 -Rathus,S.A:(1990)Psychology4th:ed Holt Rinehart and Winston .Inc .

المبحث الثالث: ضعف الانتماء والعوامل المؤثرة فيه.

المطلب الأول: ضعف الانتماء

للانتماء عند البشر أصوله الاجتماعية التي تكونت نتيجة الحياة الاجتماعية وتطور المجتمعات وتطور العلاقات البشرية، فروح الجماعة هي ما ينشأ نتيجة انتماء أفراد الجماعة لبعضهم. وهذا الانتماء يتعزز ويتطور نتيجة العلاقات والتعاون، وبالفائدة المتبادلة التي يحققها أفراد الجماعة من هذا الانتماء، ويمكن للعلاقات والأوضاع الاجتماعية أن تقوي وتعزز الانتماء، كما يمكن لها أن تضعفه (1). فالانتماء بمفهومه البسيط يعني الارتباط والانسجام. وعندما يفتقد الانتماء هذا المعنى فإنه يعني أن هناك خللاً ومع هذا الخلل قد تسقط صفة الانتماء وتشير بعض التقارير إلى أن الكثير من الشباب في كثير من مجتمعاتنا العربية يعاني من مشكلة ضعف الشعور بالانتماء إلى أوطانهم العربية والإسلامية، وتشير كذلك إلى أن الشباب يشعر بالغربة على أرضه، وعدم الانتماء، فلا يسعد لسعادة وطنه ويتألم لآلامه.

والمشكلة الأكثر تعقيداً أن عدداً كبيراً من الأنماط السلوكية التي تبدو للوهلة الأولى أنها تسهم في عملية التطوير الاقتصادي والاجتماعي للدولة تقوم في مضمونها على ضعف الانتماء الوطني والسياسي مع غياب الرؤية الواضحة والفلسفة المتكاملة لعملية التطوير، وبخاصة عندما يصبح في مقدور المهني والمتخصص تقديم مسوغات فنية لما يقدم عليه من أنماط سلوكية تؤدي من حيث الشكل وظائف حيوية بالنسبة إلى المجتمع، وربما استطاع أن يدلل على ذلك بوثائق وأرقام توحى بمصداقيته، وسلامة تصرفاته، ولكنها تنطوي في مضمونها وحقيقتها على منافع شخصية تعود إليه بالدرجة الأولى، وتسهم في إضعاف الدولة المجتمع.

ومن أبرز مظاهر ضعف الانتماء أن مشاعر الأفراد وأحاسيسهم لم تعد مشغولة بالانتماء الوطني أو الاجتماعي، ولا حتى بالمشاعر العاطفية همهم الأكبر البحث عن المصالح الفردية، والمنافع الخاصة والتقليل من شأن الدولة أو الحكومة وعدم الاعتراف بمنجزاتها والاعتكاف عن المشاركة في الحياة السياسية بإيجابية⁽²⁾.

وطالما أنه لا توجد معايير ضابطة للسلوك الاجتماعي، فإنه من الطبيعي أن يصبح الأفراد أكثر استعداداً للانجراف مع التيارات التي تجرفهم. وما زاد الطين بله انتشار البث الفضائي وغيره من الوسائل الاتصال

¹ نبيل حاجي نائف-الانتماء، أصوله وعوامل نشوئه، أبعاده وتأثيراته- مدونة الباحث

<http://arabic.nabeelnayef.com/index.php/2013-11-16-20-18-44/20-2014-04-28-07-00-54>

² د/ احمد حسني إبراهيم احمد -تقييم دور الأخصائي الاجتماعي في تدعيم بعض قيم المواطنة لدى الأحداث -دراسة مطبقة على نزلاء دار التربية الاجتماعية ببريدة -كلية الخدمة الاجتماعية -جامعة الفيوم.

حتى أفقدنا القدرة على التمييز بين الصالح والطالح فكل ما يصدر عن الغرب جميل وحسن لهذا يأخذ ضعف الانتماء الوطني حيزاً كبيراً تتجلى في أنماط سلوكية يومية تارة، واستثنائية تارة أخرى. ففي الوقت الذي تشهد فيه المنطقة العربية تغيرات عديدة تسهم في إحداث تحولات كبيرة في الأفكار والاتجاهات والقيم الاجتماعية إلى درجة أن منظومات الضبط الاجتماعي أصبحت متنوعة أيضاً إلى الحد ينفي إمكانية القول بوجود منظومة ثقافية واحدة ضابطة للسلوك، وتسهم عمليات التواصل الثقافي والحضاري مع التغيرات الواسعة على المستوى العالمي في بعثرة منظومات الضبط الاجتماعي العربية على نحو واسع.

وهنا لا بد من الإشارة إلى سبب الضعف الذي يكمن في عدم شحذ الشباب بمعنى الانتماء والولاء الوطني بسبب افتقار المناهج الدراسية لهذه القيم مثل مفهوم الوحدة الوطنية، والولاء والانتماء الوطني والدفاع عن الوطن وسيادته واستقلاله.

وكأن المناهج الدراسية إنما أعدها أناس لأمة أو مجتمع آخر وليس لوطن معني بتربية أبنائه على أسس وطنية يتم في ظلها غرس القيم الوطنية وتعزيزها من خلال الكتب الدراسية وأجزاء المنهج الأخرى. إن التربية تسبق التعليم والتربية تعني غرس قيم ومثل عليا من خلال المدرسة بعناصرها المعلم والطالب والكتاب والإدارة والمنهج.

فهذه العناصر تنمي التفكير الإبداعي الذي يخلق أفراداً قادرين على استيعاب ما يدور حولهم ونقده نقداً بناءً وهذا لا يقوم به إلا معلم قدوة وذو قدرة على فهم واقع طلابه والبيئة المحيطة بهم وطبيعة العصر.

ونحن كمجتمعات إسلامية لا يوجد عندنا تعارض بين القيم الوطنية والدينية، وحينما ترتبط القيم الوطنية ومبادئ الحقوق والحريات في مناهجنا بالقيم الدينية والوطنية معاً بحيث يكون الرابط رابطاً دينياً ووطنياً فإنه يضبط شعور وتفكير وسلوك الإنسان ويكون الانتماء لدى الفرد هو الأهم، انتماء وطنياً يمثل رابطاً وجودياً ورابطاً تاريخياً ورابطاً تربوياً ورابطاً دينياً يقوى مع القيم الوطنية وبذلك يصبح الانتماء للوطن عبادة والتفريط في أي جزء من جزئيات الواجبات الوطنية تفريط بجزء من الدين وبالتالي فمن أنكر مواطنة شخص يخرج من معنى الوطنية لأن قدسية الوطنية من قدسية الوطن والدين والإضرار والتجرؤ على الوطن هو إضرار بالعقيدة⁽¹⁾.

في ضوء ذلك تكمن أهمية البحث في مسألة الانتماء الوطني والسياسي لما له من أهمية في بناء المجتمع الحديث، والدولة الحديثة، ولما له أيضاً من أهمية كبيرة في سياق الصراع العربي الصهيوني، وفي سياق

¹ محبوب اليوسفي -المواطنة. إثارة وتوضيح -دراسات علمية تؤكد افتقار المناهج الدراسية لقيم الولاء والانتماء -نشر في الجمهورية يوم 19 - 12 -

التحديات الاجتماعية والسياسية التي تهدد المجتمع، وفي ضوء ذلك أيضاً تكمن أهمية البحث في قضايا التنشئة الاجتماعية والسياسية للشباب⁽¹⁾.

المطلب الثاني: العوامل التي تؤدي إلى ضعف الانتماء

إن من أكثر التحديات التي تواجه المجتمع في الوقت الراهن هو ضعف الشعور بالانتماء الذي نتج عن العديد من العوامل والأسباب.

هذا ويتأثر الانتماء بالعديد من المؤثرات الداخلية والخارجية التي تقوم بتقويته أو ضعفه، وحتى نستطيع أن نبني انتماء إيجابياً يقوم ببناء الفرد والمجتمع بصورة ايجابية، يجب علينا أن نسعى لتجنب الفرد والمجتمع المؤثرات السلبية التي تعمل على ضعف الانتماء وخاصة السياسي والحزبي، وتقوية الجوانب الأخرى التي تعمل على ازدهار الانتماء.

1- الانتماء السياسي:

يرى الباحث أن هناك خلط بين مفهوم الانتماء السياسي والانتماء الوطني وتداخل وضبابية في معناهما عند الكثيرين في الساحة الفكرية بينما يجب التفريق بينهما، وحسب تعريف كل منهما، فالانتماء الوطني هو الإنتساب لبقعة الأرض المقيم عليها الفرد وحيث يكون متوحداً ومندمجاً فيها، وله شرف الإنتماء لها ولقيمها وثقافتها، وشعوره بالأمان للعيش ضمن حدودها، والولاء المطلق لها والتضحية والإيثار من أجلها، والتفاعل الإيجابي والاندماج مع أفرادها والشعور بالإنصهار الكلي في عاداتها وتراثها⁽²⁾، بينما الانتماء السياسي هو ارتباط بشكل نظام الحكم والإيديولوجيات السياسية التي يتبعها. وأيضاً حسب الآثار التي تنتج عن كل منهما فالانتماء الوطني ينتج ارتباط وانتساب الفرد إلى الأرض، والتعلق بها، وحب أهلها وأصحابها، والحنين إليها عند الاغتراب عنها، والاستعداد للدفاع عن كيانهما ضد الأخطار التي تهددها، والتضحية والفداء في سبيلها، بينما الانتماء السياسي ينتج الاختلاف والتنازع على شكل النظام ودوافعه، واستئثار طبقة أو نخبة معينة من الشعب بالحكم دون غيرها ومن ثم والاستحواذ على كل خيارات وثروات البلاد.

لذلك يؤثر الانتماء السياسي على الانتماء الوطني عند اهتزاز النظم السياسية القائمة، أو تغيير توجهات القادة السياسيين نحو القضايا الوطنية أو الثوابت الوطنية ورفض البعض لها، ما يؤدي

¹ الدكتور. أحمد عبد العزيز الأصفر-ضعف الانتماء الاجتماعي ... غياب للرؤية .. وبحث عن المصالح الفردية والمنفعة الخاصة-جريدة الثورة السورية -الثلاثاء 26-11-2013

² سالم إيليا -ما بين الإلتاء الوطني والإلتاء الحزبي - موقع كتابات -الخميس، 25 شباط، 2016

للهجرة أو الصدام أو الاعتقال، أو إهدار طاقة الأفراد في القرارات السياسية الجائرة التي تتخذ بإزاء القضايا الوطنية (١).

والانتماء السياسي يؤثر في الانتماء الوطني عند ظهور الخلافات السياسية والصدام بين المشاريع السياسية المتناقضة والمتوازنة في القوة كما في الحالة الفلسطينية، وبما يختفي الخلاف بين المشاريع خلفه قضايا سياسية أو اجتماعية سريعاً ما يتبين أنها ليست المشكلة لأن الصراع ليس صراعاً من أجل الوصول إلى السلطة السياسية وتداولها، بل تجاوز هذا إلى الصراع على النظام السياسي نفسه، ويمكن تحديد التناقض الفلسطيني . الفلسطيني بوصفه تناقضاً بين مشروعين، وبسبب ذلك لم تستطع الانتخابات التشريعية التي جرت في العام 2006م أن تخفف حدة الاحتقان، بل على العكس زادت وأوصلته إلى انفجار دموي لأنها لم تكن عملية تقوم على حل صراعات ضمن نظام سياسي واحد، بل تم النظر إلى الانتخابات بوصفها استكمالاً للصراع بأدوات أخرى، وليس اعتبارها أداة فعالة لتنظيم الصراع بين الأطراف داخل النظام السياسي. بل تعاملت القوتان الرئيسيتان مع الانتخابات بوصفها عملية للحفاظ على المشروع السلطوي كما أرادت حركة فتح من جانب، وكانت الانتخابات فرصة للإمسك بمواقع في السلطة لخدمة المشروع الإسلامي كما أرادت حركة حماس من جانب آخر. وقد القت الخلافات السياسية بظلالها على الانتماء إلى الحد الذي شاهدنا الاقتتال الداخلي ومن ثم الانقسام بين شطري الوطن، ثم فتور الانتماء والعزوف عن الأحزاب.

"ويرى روزنبرج Rosenberg أن عدم مشاركة الكثير من أفراد المجتمع في النشاط السياسي يرجع إلى عوامل عديدة أهمها: انخفاض الوعي بأهمية النشاط السياسي، كأن يرى الفرد أن النشاط السياسي مهدد لبعض جوانب حياته أو يؤثر على مكانته الاجتماعية، أي أن الفرد قد يرى أن اللامبالاة السياسية هي الأسلوب الأكثر ملائمة له نتيجة ضغوط متعددة" (٢).

2- الانتماء الحزبي:

الانتماء الحزبي هو الانتساب إلى جماعة أو كيان أو تجمع متجانس في الأفكار والمعتقدات السياسية وإن لم يلق بعضهم بعضاً أو يشتركوا معاً بالإقامة على وطن واحد (٣). فالدول حين تضعف أنظمتها، ويكثر فيها المخالفات للأصول، وتختل فيها المعايير، ولا ترعى القيم يبدأ الناس بالجوء إلى ولاءات بديلة من جماعات وأحزاب ومنظمات وتحل الواسطة والمحسوبية محل النظام، ويتقدم الذي وراءه جماعة

¹ ماجدة محمود، 1985م- الشخصية بين الفردية والانتماء، -دراسة في سيكولوجية العلاقة بين الفرد والمجتمع. (رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عنى شمس، القاهرة).

² طارق عبد الوهاب: 1999-دراسة نفسية مقارنة بين المشاركين والغير مشاركين سياسياً (سيكولوجية المشاركة السياسية) دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة. - ص 32

³ سالم إيليا - ما بين الإتياء الوطني والإتياء الحزبي - موقع كتابات - الخميس، 25 شباط، 2016

قوية على غيره في الوظائف والمنافع الأخرى في هذه الحالة يتضح لكل ذي لب أن الانتماء البديل أكثر فائدة وإشباع للحاجات ، لذلك بدأ الولاء يتسرب من الدولة إلى الجماعات والأحزاب والمنظمات وكل ما ثبت نفعه من الانتماءات. أما في الدولة القوية في نظمها فتجد الناس جميعا بشتى فئاتهم وجماعاتهم ينتمون إلى الدولة لأنها هي السلطة السائدة، وهي المغذي الرئيسي لحاجات الناس. إن طغيان الإنتماء البديل على الانتماء الوطني لا يحدث إلا عند تقصير الحكومة في أداء مهمتها الوطنية على الوجه المطلوب، وفوق ذلك غياب قانونٍ عادل يحمي المواطن من أيّ اعتداء على حريته وكرامته سواءً، كان من قبل فردٍ أو حكومة.

ف فشل المؤسسات الحكومية في توفير حياةٍ كريمةٍ وخدماتٍ تتصف بالشمولية والمساواة والعدالة وسهولة الحصول عليها يساهم في تقليص نسبة الانتماء الوطني أمام الانتماءات الأخرى، ويسمح بصعود انتماءات بديلة يجد فيها المواطن بديلا لتعويض القصور، وينشد فيها الأمان والرضا الاجتماعي، والحصول على خدماتٍ وامتيازات لا يمكن الوصول إليها إلا عبر هذه الطرق الجانبية.

إن صعود الانتماءات الحزبية فوق الانتماء الوطني هو أحد المؤشرات التي تدق أجراس الخطر في أي دولة، فهي أولى الخيارات التي يستخدمها العدو الخارجي لتفتيت لحمة أي وطن وتقسيمه إلى كانتونات عنصرية متصارعة. ورغم بدهية هذه الجزئية إلا أن بعض الحكومات تفشل في استيعابها، وتمارس قبل العدو دورًا تفكيكيًا لتماسك وطنها بتطبيق سياسة "فرق تسد"، فتشعر هذه الحكومات بالنشوة السلطوية عند لجوء المنتمين المتصارعين إليها لحل نزاعاتهم التي تغذيها بسياسات إعلامية وتعبوية خاطئة، ويغيب عن هذه الحكومات أنّ سلطانها يقف على أرضٍ هشّةٍ مجزأة ستصعد مع أقل درجة من أقرب زلزال عابر. وسيكون الخاسر الأول هو الوطن، فالحكومات التي فوق أرضه تتغير -كما هي سنة الله في مداولة الأيام- لكن تأثيرات سياساتها الخاطئة تظل تنخر في جسد الوطن حتى تمرّقه.

من مظاهر صعود الانتماءات البديلة اقتصار الوظائف والمناصب القيادية على مجموعاتٍ حزبية، وانتشار ظاهرة الافتخار الحزبي أكثر من الوطني، والولاءات الخارجية لدول ذات سياسات معادية للوطن لأسباب طائفية. ومن السهل على أي راصد لحركة المجتمع التقاط الأمثلة على هذه المظاهر؛ فهي تشكّل ظاهرة أكثر من كونها حالات استثنائية، وأصبحت تمارس علنًا في ظل صمتٍ وعجز عن توفير بيئة جاذبة تمتاز بالرفاه المعيشي والحرية والكرامة التي تجعل المنتمي إليها ينبذ جميع ما عداها من الانتماءات⁽¹⁾.

¹ فائق منيف -صراع الانتماءات داخل جسد الوطن - المجلة - الجمعة، 10 مايو، 2013

<http://arb.majalla.com/2013/05/article55244970>

وكمثال على الآثار التي يتركها الانتماء الحزبي على المجتمع في غزه أظهرت دراسة ذات صلة بموضوع البحث لمركز شؤون المرأة⁽¹⁾ - أن الانقسام ترك أثراً على العلاقات الأسرية في كل بيت، فقد أثر على العلاقات الزوجية، فأحدث مشاكل بين الأزواج لم تكن موجودة، حيث أجمعت المبحوثات على أن حياتهن وعلاقاتهن بأزواجهن تغيرت للأسوأ بعد الانقسام السياسي. وقد أصبح تأييد فصيل بعينه أمراً مصيرياً في حياة الأسرة، يترتب عليه مستقبلها. وأصبحت النقاشات تثير جواً من التوتر بين الزوجين؛ لينتج عنه، في المحصلة، خصام أو عنف لفظي أو جسدي.

كذلك الأمر بالنسبة لعلاقات الأشقاء؛ التي أصبح الانتماء الحزبي هو الفاصل فيها، ووجدت الدراسة أن الانقسام أثر على علاقة الآباء والأبناء، فالآباء جحدوا أبناءهم، والأبناء فقدوا احترامهم لآبائهم. كما وجدت الدراسة أن الانقسام أثر على العلاقات الاجتماعية؛ فأحدث فيها فجوات وشروخاً على صعيد علاقات الجيران، والأقارب، وعلاقات زملاء العمل، لينشر أجواء من التوتر في كل مكان. حتى الأفراح طالتها نيران الانقسام، فقد وجدت الدراسة أن اختلاف الانتماءات الحزبية دمر العديد من الأفراح، كما أحدث الانقسام تغييراً جذرياً في حياة الكثير من العائلات، حيث أغلقت المؤسسات أبوابها، ووجد غالبية الموظفين أنفسهم بدون عمل، هذا بالإضافة إلى العمال والعاملين في المؤسسات الخاصة الذين فقدوا أعمالهم، فاختلّفوا في كيفية تأقلمهم مع الوضع الجديد، فمنهم من لجأ للهروب من الواقع بالسهر على الإنترنت أو التلفاز، ليقضي نهاره في النوم. ومنهم من سيطر عليه الإحباط ففقد الرغبة في الحياة واستكان للوضع الحالي، ومنهم من سيطر عليه الشعور بالنقمة والعدائية؛ فأصبح يصب جام غضبه على زوجته وأبنائه، وكثيراً ما أدى العنف الجسدي واللفظي الذي يمارسه الزوج إلى الطلاق في الحالات التي زاد فيها العنف عن الحد الممكن احتمالها، أو أدى إلى إصابة الزوجة بأذى بالغ، مما انعكس سلباً على نفسية الأبناء.

ويعتبر الانتماء الحزبي من أهم مجالات الانتماء التي تستقطب شرائح متنوعة من المجتمع الفلسطيني، ويعزى ذلك إلى أن المجتمع الفلسطيني يمر بمرحلة التحرر الوطني، مما شكل تربة خصبة لتنامي الأحزاب والتنظيمات السياسية الناشطة في مجال مقاومة الاحتلال، وفي مجالات العمل الجماهيري والطلابي داخل المؤسسات التعليمية⁽²⁾.

¹ مركز شؤون المرأة - غزة - دراسة بعنوان أثر الانقسام الداخلي والحصار على العلاقات الأسرية والاجتماعية في قطاع غزة - مدونه الاغلاميه هداية صالح شمعون - http://hedaya.blogspot.com/2010/11/blog-post_8972.html
² عطا أحمد على شقفة - الاتجاهات السياسية وعلاقتها بالانتماء السياسي والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة - رسالة دكتوراه - غير منشورة - ص 64 ، 65

وتلعب الأحزاب دورا كبيرا في تقويم السلطة وكشف عيوبها⁽¹⁾، بالإضافة إلى نشر أيديولوجية الحزب من خلال الأنشطة الدعائية، والمواقف التي تتخذها إزاء الأحداث والمستجدات على الساحة السياسية على وجه الخصوص.

3. العامل الاجتماعي

التزام الدولة بتوفير مقومات الحياة الأساسية كالصحة والتعليم والإسكان والمرافق، وفرص العمل وغيرها، سوف يزيد من درجة الانتماء الوطني وتعميقه⁽²⁾ أما قلة توفير الخدمات الاجتماعية وفرص العمل، وانحياز القيم الإنسانية الاجتماعية، وعدم تكافؤ الفرص، وشعور الشباب بأنه مهمل، وأنه لا يلقى الرعاية والاهتمام، وأن حقوقه مهددة وحاجاته مهملة فإنه يؤدي إلى الهجرة⁽³⁾ في حين أن الانخراط مع مجموعات الناس مباشرة والتفاعل معهم تقلل من القلق وتعطي الثقة بالنفس والشعور بالأمن، وتلبي حاجات الفرد الاجتماعية وتزيد من مستوى الانتماء الوطني⁽⁴⁾.

4-العامل الاقتصادي

تحقيق وإشباع حاجات الأفراد من الناحية الاقتصادية يساهم في تقوية الانتماء الوطني، بينما الأزمات الاقتصادية التي يمر بها المجتمع، أو الثراء الفاحش لبعض الطبقات ورجال الأعمال، وتناقص قدرة الجماعة على إشباع احتياجات الأفراد⁽⁵⁾ والفقر المدقع لبعض الطبقات الأخرى، تدفع بعضهم إلى تغليب مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة، وعدم الاكتراث بالوطن⁽⁶⁾ وإهدار المال العام: مثل استخدام الممتلكات الحكومية لأغراض شخصية للموظف أو المسئول⁽⁷⁾. وسرقة الأموال والممتلكات

¹ إساعيل سعد: 1995-المجتمع والسياسة، دراسات في النظريات والمذاهب والنظم، ط (3)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة. - ص 333
² عبد التواب الطلاع، 1993م-دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني لدى طلابها. مجلة دراسات تربوية، المجلد الثامن، ج 56، القاهرة: عالم الكتب.

³ ماجدة محمود، 1985م-الشخصية بني الفردية والانتماء، دراسة في سيكولوجية العلاقة بني الفرد والمجتمع رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة).

⁴ Deaux, K., Dane, F. C. and Wrightsman, K. (1993). Social Psychology in the 90s, (6 th. ed). B Brooks Cole Publishing, California- U.S.A

⁵ د قدري حنفي -ضعف الانتماء.. وتفكك الجماعات - جريدة البوابة - <http://www.albawabhnews.com/843414>
⁶ عبد التواب، 1993م- دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني لدى طلابها. مجلة دراسات تربوية، المجلد الثامن، ج 56، القاهرة: عالم الكتب.

⁷ الدكتور أحمد أبو دية -الفساد: الداء والدواء -الطبعة الأولى شباط 2004 -منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة - أمان 2004
- ص 2 ، شرف "محمد زهير" فكري المصري - الفساد في السلطة الوطنية الفلسطينية واثر محاربه في تعزيز الانتماء الوطني للفرد الفلسطيني (1994-2006) - رسالة ماجستير - جامعة النجاح الوطنية .

العامة الواقعة تحت سيطرة الشخص المسئول الفاسد والشعور بالظلم والمحابة وأن خيرات الوطن لا تعود عليهم كل يؤدي إلى ضعف الانتماء⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أزمة الانتماء الفلسطيني والآثار.

المطلب الأول: أزمة الإستراتيجية

يعاني الفلسطينيون من أزمة شاملة عميقة تتفاقم كل يوم أكثر وأكثر حتى ارتفع السلاح الفلسطيني في وجه الفلسطيني الآخر.

وتمثل تلك الأزمة في النظام السياسي الفلسطيني بكل فروعه وتفصيله. الأمر الذي أنتج صراعا مدمرا حول السلطة والحكم، واختلافا للبرامج والأهداف البعيدة وضعفا في المؤسسة الرسمية وقدرتها على تلبية احتياجات الجمهور، إلى الحد الأدنى من احتياجاته. وضعفا في الخيارات والمبادرات والوسائل، وانقسامًا حادًا بشأن التوجهات العامة وكيفية التعامل مع المحتل الإسرائيلي الذي يواصل عدوانه على الشعب الفلسطيني.

إن الاختلاف على الأهداف ووسائل تحقيقها كان أمراً محيراً للحركة الوطنية الفلسطينية، منذ سنواتها الأولى نظراً لخصوصية القضية الوطنية من حيث أبعادها التاريخية والدينية وتداخلها مع قضايا الصراع مع الكيان الإسرائيلي، حيث لم تستقر منظمة التحرير الفلسطينية على أهدافها وإستراتيجية تحقيقها سوى سنوات قلائل. وكذلك فعلت حركة المقاومة حماس التي انتقلت من خندق المقاومة إلى الحكم والسلطة مع ما يتطلبه ذلك من تبعات وتحمل لمسئولية الحياة اليومية للمواطنين وهمومهم من صحة وتعليم وإغاثة وطعام ومسكن وكهرباء وغيرها، فاشغلت المقاومة بذلك عن مهامها التي نشأت من أجلها.

وبعيداً عن الشعارات الكبيرة والأيدولوجيات المخادعة والوعود البراقة فإن العمل السياسي الفلسطيني ومنذ التعاطي مع عملية التسوية السياسية يعمل بدون إستراتيجية واضحة المعالم الأمر الذي أدى إلى حالة التيه السياسي المعقدة، وأصبحت البوصلة السياسية بلا اتجاه عند الجميع ولم يعد بالإمكان إخفاء الحقيقة⁽²⁾.

إن غياب الإستراتيجية ليس أزمة طارئة، بل أزمة صاحبت المشروع الوطني منذ نشأته الأولى، الأمر الذي يستدعي مراجعة إستراتيجية شاملة لمجمل الحالة السياسية الفلسطينية. ولو كان لدينا إستراتيجية وطنية حقيقية لكان لدينا ثوابت محل توافق وطني، وما كان الانقسام وما كان فشل المصالحة وفشل

¹ محمد الطائي -ضعف الانتماء.. مظاهر وعلاج- مجلة المجتمع - فبراير 2015 - <http://mugutama.com/theme-showcase/item/14864>

² عدنان أبو ناصر -المشهد السياسي الفلسطيني: أزمت راهنة.. آفاق مطلوبة - مجلة الوحدة الإسلامية - العدد 144 كانون أول 2013 -

<http://www.wahdaislamia.org/issues/144/aabunasser.htm>

مئات جولات الحوار، لو كان لدينا إستراتيجية وطنية ما كان هذا التراشق والاتهامات المتبادلة بالخيانة والتكفير ما بين من يفترض أنهم قادة المشروع الوطني، وما كان لدينا سلطتان وحكومتان متناحرتان... المهم في الأمر أن المشروع الوطني الفلسطيني بمؤسساته الرسمية وغير الرسمية وبنخبه الحاكمة وغير الحاكمة وما يرتبط به وبها ويدور حوله وحولها من إيديولوجيات وثقافات سياسية وتكوينات اجتماعية وبغض النظر عن الشعارات التي ترفعها: المقاومة والجهاد أو التسوية والمفاوضات، هذا المشروع يعيش مأزقاً وجودياً حقيقياً وخصوصاً بعد الانقسام الذي فصل غزة عن الضفة، هذا المأزق يعود لغياب إستراتيجية عمل وطني: إستراتيجية تفكير وتنظيم وإستراتيجية ممارسة. لذلك فإن المطلوب من النخب السياسية اليوم الاعتراف بأخطائها والقيام بمراجعة نقدية شمولية تراجع فيها مسيرتها فتصحح ما أعوج من سلوك وتقوّم ما ثبت فشله من نهج وتحاسب حيث تجب المحاسبة.

المطلب الثاني: أزمة المرجعية.

حين نشأت السلطة الفلسطينية أحدثت وضعاً سياسياً همّش منظمة التحرير الفلسطينية. ورغم أن رئيس منظمة التحرير هو رئيس السلطة الفلسطينية، إلا أن رئاسته للسلطة بدت المهيمنة على صفته رئيساً للمنظمة، وهكذا تم تهميش منظمة التحرير الفلسطينية على حساب السلطة الفلسطينية، وأصبح بإمكان السلطة التصرف باسم منظمة التحرير أو تجاوز منظمة التحرير. وعندما تم توقيع اتفاق أوسلو باسم منظمة التحرير الفلسطينية، فإن هذا الاتفاق كان بداية التهميش للمنظمة من خلال إيجاد سلطة وطنية فلسطينية أخذت تستحوذ على سلطات المنظمة أو تتجاوزها في أحيان كثيرة. وبدلاً من أن تكون المنظمة هي فعلاً الممثل الشرعي والوحيد باسم الشعب الفلسطيني والصوت الرسمي الوحيد الناطق باسمه أصبحت السلطة الفلسطينية على أرض الواقع هي الممثل للشعب الفلسطيني، ولا يستدعي وضع اسم منظمة التحرير إلا حين تقتضي الحاجة ذلك، أو يستدعي الظرف السياسي ذلك.

إن الحاجة إلى إعادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى واجهة العمل السياسي الجماعي والتحرك النضالي الجماعي تستوجب تغييراً جذرياً، نظراً لاختلاف الظرف والمرحلة، ولأن المنظمة قد اعترتها خلال الفترة الماضية بعض الشوائب في الأداء والممارسة ثم جرى تغييبها تحت مظلة السلطة الفلسطينية. وهذا التغيير يجب أن يشمل الفكر والسياسة والبرامج والممارسة السياسية والنضالية.

لقد طرأ تحول على السياسة الفلسطينية وخطاب منظمة التحرير الفلسطينية واستراتيجيتها من النضال التحرري (تحرير كل فلسطين) إلى بناء الدولة (دولة مستقلة في الضفة وغزة). وهذا قد أفرغ النضال من مبادئه التي قام عليها، وقوّض استراتيجياته ببطء، حيث حلّ التطبيع الاستعماري الجديد

مع المحتل محلَّ مكافحة الاستعمار. وهكذا باتت الحركة الوطنية مشلولة من حيث قدرتها على تعبئة القاعدة الشعبية (1).

ولقد أفضت العلاقة الاستعمارية الجديدة بين المستعمر والمستعمر إلى فصل القيادة الفلسطينية عن جماهيرها وقواعدها، ومن ثم إلى توقف النضال. وتُعتبر الأزمة بين حماس وفتح أبرز مظاهر الحالة الاستعمارية المعقدة المفروضة على الفلسطينيين، وعجز الأحزاب الفلسطينية عن حمل إرادة شعوبها فوق المصالح الاقتصادية والسياسية. غير أن المشروع الاقتصادي السياسي الذي جلبته اتفاقات أوسلو يؤثر في الأحزاب الفلسطينية كافة، ولكن بدرجات متفاوتة، ويسلمها القدرة على التعبير عن الإرادة الشعبية.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على الأزمة.

الأزمة التي يعاني منها الفلسطينيون ولا يدركون لها حلاً، من انقسام واقتتال وانغلاق أفق المصالحة الوطنية تتسبب في تعميق الإحباط واليأس عند الناس، وانفضاضهم عن الفصائل وفكرة العمل الجماعي المنظم، وفي تعميق أزمة الثقة بين القاعدة والقيادة، إن هذه الأزمة المتفاقمة تهدد بانهيار النسيج الاجتماعي، وربما بنتيجتها تراجع أكثر فأكثر مكانة القضية إلى حدود محزنة.

ليس من الصعب الاستنتاج أن الاستقطاب السياسي في المجتمع الفلسطيني، هو تعبير عن أزمة النظام السياسي الفلسطيني، والمتمثلة في تبدل موازين القوى والوصول إلى حالة شلل وسكون في ظل صراع على السيطرة السياسية. وقد جرى التعبير عنها بانتشار ظاهرة الفلتان الأمني، ومن ثم الاقتتال الداخلي، وصعوبة التوصل إلى بناء شراكة سياسية حقيقية، وأخيراً الانقسام السياسي والإداري والقانوني، وما يمكن رصده من تشكل كيانات منفصلين، واختراق المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بأنواع جديدة من الخصومات والخلافات تتبلور على جانبي جبهة مواجهة بين طرفي الصراع (2).

وهذا أفقدنا القدرة على غرس حب الوطن في قلوب أبنائه، بحيث يفهم الجميع أن مصلحة الوطن فوق كل المصالح الحزبية والشخصية، ولكي نستطيع تجاوز هذا التشتت فانه يتطلب هذا تطوير ثقافتنا

¹ عدنان أبو ناصر - المشهد السياسي الفلسطيني: أزمت راهنة.. آفاق مطلوبة - مجلة الوحدة الإسلامية - العدد 144 كانون أول 2013 -

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/144/aabunasser.htm>

² عطا أحمد على شقفة - الاتجاهات السياسية وعلاقتها بالانتماء السياسي والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة - رسالة ماجستير - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد البحوث والدراسات العربية - ص 76، 77

الوطنية ليصبح لدينا مسؤولية وطنية تنعى فينا روح الانتماء والإخلاص للوطن كأفراد، وأحزاب، ومنظمات مدنية⁽¹⁾.

إن ضياع الوحدة الوطنية إنما يعني انهيار القضية الفلسطينية وضياعها وافتقادها الجوهر النضالي وان التحرك الوطني من أجل الوحدة الوطنية سيزيد الشعب الفلسطيني تمسكا بالقضية الفلسطينية، ولنأخذ العبرة من الحكمة الشهيرة

" تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ***** وإذا افترقن تكسرت أفرادا " (2)

لذلك فإن ضياع الوحدة الوطنية لو بحثنا في جوهرها يعني عدة أمور :

1. ضعف الرابطة البيولوجية في الانتماء للوطن
2. تشجيع الهجرة الى الخارج من أجل الانتماء الطوعي
3. التحول في الصراع من صراع ضد العدو المشترك الى الصراع البيئي.
4. تحول القضية الفلسطينية إلى مسألة فلسطينية
5. تشويه القضية الفلسطينية أمام العالم الخارجي
6. ضعف الرابطة الجمعية ما بين أبناء الانتماء البيولوجي.

المبحث الرابع: كيف نغرس حب الوطن عند أبناءه

الانتماء ليس مصطلح يستخدم في الأغراض السياسية فقط، بل هو نتاج للعديد من المعطيات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في المجتمع. وعاطفة الإنتماء والمواطنة تتطلب شعور المواطن بالأمان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في وطنه؛ حيث يكون ذلك الحافز هو الوقود الذي يحرك دوافع الإنتماء والمواطنة لديه، فشعور الإنسان بالانتماء والمواطنة يتزايد مع ارتفاع مستوى الحياة التي تؤدي بالمواطن إلى تعزيز كرامته في وطنه.

كما غياب أو تغيب القيم العليا التي تعد الأساس القوي في إقامة مشروع النهوض الوطني، كالعادلة الاجتماعية وسيادة القانون والمساواة بين مختلف شرائح المجتمع، بلا تفاضل ولا تمايز إلا بمقدار ما يقدمه الإنسان لوطنه من منجزات، لا يعطي الإنسان شعور صادق بالانتماء وبأنه هو الوطن، يسعد بسعادته ويفرح لفرحه، ويحزن لحزنه ويشقى لشقائه.

¹ عزام الحملاوي - سلبية الفصائل الفلسطينية في انهيار الانقسام وبناء الدولة الفلسطينية - موقع الثورة الاخباري - الثلاثاء، 26 مايو،

2015 - <http://thawra.ps/ar/index.php?act=post&id=63795>

² مأمون شحادة - ثلاثة مراحل على مدى عشرين عاما مرت على الشعب الفلسطيني - الجمعية الأهلية لمناهضة الصهيونية -

<http://www.mounahada.org/modules.php?namepart=felandsah&number=1239>

والانتماء لا يتأتى مصادفة أو بمجرد الإقامة على أرض، لكنها الفطرة التي يولد الفرد عليها فتتولاها كافة المؤسسات بالرعاية والمحافظة، حتى تقوى ويشد عودها (1).

ويتأثر انتماء الفرد لوطنه بعوامل متعددة، منها: البيئة الاجتماعية التي يعيشها خلال مراحل نموه كالأُسرة، والمجتمع المحلي، والمدرسة، وإضافة إلى مجمل الظروف الاقتصادية والسياسية التي يعيشها المجتمع، والتي تنعكس على مستوى معيشة الفرد، وهامش الحرية الذي يتمتع به. ومن العوامل التي تسهم في بناء وتكوين الشخصية المنتمية وتدعيم الانتماء لدى أفراد المجتمع، ما يلي:

1. إشباع حاجات الأطفال منذ مراحل نموهم الأولى، وتعويدهم على عدم إشباع حاجاتهم على حساب حاجات الغير.

2. توفير عنصر القدوة في الأسرة، أو المدرسة، أو من خلال القيادات المختلفة في المجتمع.

3. توفير الأمن والاستقرار لأفراد المجتمع، ومحاولة التخلص من كل العوامل التي تسبب لهم القلق والتوتر.

4. تحقيق مناخ ديمقراطي يمكن أفراد المجتمع من إبداء الرأي، والتعبير عن الذات.

5. إتاحة ظروف اقتصادية، واجتماعية مناسبة، مما يجعل أفراد المجتمع يشعرون بالإشباع المادي والاجتماعي.

6. ارتباط كافة المشاريع والإنجازات التي تقام على أرض الوطن باسم الدولة، لأن ذلك من شأنه أن يقوى الإحساس بالانتماء للوطن، وسيادة معيار الكفاءة في هذه الفرص.

7. إتاحة الفرص لاستغلال أوقات الفراغ بشكل جيد يعود بالفائدة على المواطن، لأن ذلك يزيد من إحساسه بالانتماء لوطنه، ويحميه من الانحراف، ويبقى المجتمع من تفشى ظواهر العبث والتخريب (2).

8. ضبط ومعاينة المفسدين الذين لا يقيمون وزنا للمصلحة الوطنية، كالخونة، وتجار المخدرات، والمرتشين ولصوص الأموال العامة.

9. الحفاظ على كرامة المواطن، وشعوره بالاحترام، ويتأتى ذلك من خلال القوانين التي تسنها السلطات التشريعية، وكذلك من خلال تعاطي السلطات التنفيذية للدولة مع مواطنيها.

وإذا كان لكل شعب من الشعوب خصائصه المميزة له عن الشعوب الأخرى، فإن للفلسطينيين خصوصية تشكل قيمة مضافة لهويتهم الوطنية التي ما زالت تخضع لاحتلال عنصري يعمل ليل نهار لتمزيق الهوية الكفاحية وتمزيق الانتماء وتشكيل انتماء بديل وفق معايير خاصة تخدم أغراض

¹ د/ خضر عباس - الوطن ما بين الائتاء والولاء - مدونة الدكتور خضر عباس - <https://drabbass.wordpress.com>

² عامر الخطيب: 1997 - الشخصية الفلسطينية وعوامل الائتاء الوطني، دراسة نظرية غير منشورة، مقدمة إلى مركز تدريب الأخصائيين في الأنروا - الدول المضيفة - غزة - ص 8-9

الاحتلال عنوانه التنافر والانقسام بسبب غياب الإستراتيجية الكفاحية الواحدة والإجماع الوطني على القضايا التي تشكل الصراع وتعدد الاستراتيجيات والسلطات، أدت بدورها إلى تفاقم حالة الفوضى والفلتان الأمني، ما يضع مهمة إنهاء هذه الحالة وما نتج عنها على رأس سلم الأولويات ووضع خطة إنقاذ وطنية تحدد عناصر الانتماء من أجل توحيد الصف وتقوم على التفريق بين الثابت والمتغير وأهمها:

أولا / نبذ الأوهام حول عملية السلام الحالية

بعد تجربة عامين وأكثر من المفاوضات يفترض أن لا يكون هناك خلاف فلسطيني إطلاقا على أن عملية السلام كما عرفناها في مدريد وأوسلو وصلت إلى نهايتها، ولا أفق لإحيائها وبصرف النظر عن تفاصيل الأزمة التي تواجه المفاوضات، فوقائع عشرين سنة من حياة عملية السلام أكدت أن درجة تطور الفكر السياسي في المجتمع الإسرائيلي لم تصل إلى مستوى تحقيق مصالحه تاريخية حقيقية بين الشعبين وأغلبية الإسرائيليين يرفضون التقدم باتجاه حل عادل لقضية القدس يقبل به الفلسطينيون. وحق العودة للفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم في عام 47-48 مرفوض بالمطلق ليس فقط من قوى اليمين بل من كل الأحزاب اليمينية واليسارية الإسرائيلية. ولا أظن أن تبديلا نوعيا سيقع في مواقف وقناعات الشارع الإسرائيلي في غضون السنوات القليلة القادمة. أما الأوضاع الدولية السائدة والمرئية، وموازين القوى القائمة بين الطرفين المرئية من الآن ولعقد كامل من الزمن، فالواضح أنها لا تتجه نحو إلزام إسرائيل بقبول حلول عادلة وشاملة لهذه القضايا الشائكة. ويخطئ من يعتقد بأنها قادرة على إحداث تغييرات جوهرية في مواقف حكومة إسرائيل وإلزامها بالسير على درب صنع السلام العادل والشامل⁽¹⁾.

ثانيا / وحدة الإستراتيجية .

يتضح لكافة الخبراء مدى خطورة الوضع الراهن الذي وصلت له القضية الفلسطينية. وإن كان أخطر ما فيه هي حالة الركود على الوضع الخطأ والاستمرار عليه، والانحدار معه إلى الهاوية، فكافة الانجازات والفرص السابقة التي كانت بصالح الجانب الفلسطيني ضيعت، فضلا عن تمزق الشعب الفلسطيني إلى كتل متناحرة وانقسام ضارب باطنابه ولغة تغيب عنها المحبة وانتماء مشتت بين زعماء وأحزاب والسبب هو غياب الرؤية الإستراتيجية، فالانتصارات التي حققتها المقاومة الفلسطينية خلال الفترة الماضية، والمكانة السياسية الهامة التي أخذتها قضية العرب والمسلمين الأولى، كلها كان من الممكن ان تستثمر لتقوية وتعزيز الموقف الفلسطيني، الداخلي بإنهاء الخلافات الحزبية وتعزيز المقاومة وبناء البيت الفلسطيني الواحد، وبعث وتعزيز الانتماء لهذا الوطن والخارجي بالتوجه الدبلوماسي القوي

¹ ممدوح نوفل -النظام السياسي الفلسطيني بين الداخل والخارج -ندوة مؤسسة مواطن- 05/01/ 1999 - <http://www.mnofal.ps/ar>

والوقوف أمام الكيان الاستعماري الوحيد في العالم في القرن الواحد والعشرين. لذلك تبدو الحاجة ملحة للبحث في أسباب أزمة المشروع الوطني الفلسطيني ومحاولة إيجاد مخرج منها⁽¹⁾.

لم تعد المراجعة النقدية التي تؤسس لإستراتيجية وطنية جديدة اليوم، خيارا من عدة خيارات بل ضرورة وطنية. فالقضية الفلسطينية، لا تسمح بوجود فراغ سياسي، والمراجعة الشمولية المؤسسة لمشروع وطني جديد بإستراتيجية جديدة يجب أن تتجاوز إفرازات المشكلة وتتعامل مع جذورها ومسبباتها الحقيقية. الانتخابات والمحاصصة وتنظيم الأجهزة الأمنية ليست حلولا، ولا حتى تشكيل حكومة تكنوقراط ليس هو الحل وإن بقيت مكونات النظام السياسي تتعامل مع الأزمة وكأنها أزمة خلاف بين فتح وحماس على الانتخابات والحكومة والأجهزة الأمنية والمحاصصة الحكومية فستبقى المعالجات في إطار التسوية واتفاقات أوصلو أو لإدارة الانقسام، حتى وإن صرحت غير ذلك. الإستراتيجية الوطنية المنشودة يجب أن تكون إستراتيجية حركة تحرر وطني ما دامت كل فلسطين تحت الاحتلال وما دامت إسرائيل ترفض حق الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال، إستراتيجية تحرر وطني لا تقطع مع كل الوسائل السلمية ومع الشرعية الدولية بغية تحقيق أهدافها.

نعتقد بأن إستراتيجية وطنية للمقاومة هي الأكثر فعالية في انجاز المصالحة أو الوحدة الوطنية وإعادة الانتماء واللحمة إلى الشعب وأن يبقى الصراع بين مختلف التيارات والاتجاهات يدور في إطاره الفكري والسياسي والتنظيمي وألا يتحول إلى صراع تناحري أو اقتتال داخلي وأن تبقى المصلحة الوطنية العليا وبخاصة مواجهة الاحتلال وطرده فوق كل الاعتبارات الفئوية الضيقة، وفي تغيير قواعد اللعبة مع الاحتلال. فناريخيا ومن تجربتنا الوطنية فإن الصدام مع العدو في إطار إستراتيجية وطنية للمقاومة كانت توحيد الشعب وتستقطب التأييد العالمي وتجبر الخصم على تقديم تنازلات⁽²⁾.

إن بلورة إستراتيجية سياسية واحدة شرط لا بد من تحقيقه حتى يتمكن النظام السياسي الفلسطيني من بلورة إستراتيجية تنموية سياسية واحدة. ومن الواضح أن الساحة الفلسطينية تعيش حالة من تعدد الاستراتيجيات ومصادر القرار، مما أدى إلى انتشار الفوضى⁽³⁾.

ثالثا/ وضع المصالح العليا فوق الاعتبارات الأخرى

تعد المصلحة الوطنية عموما من أهم الركائز التي تنطلق منها الأمم نحو النهوض. كما أنها تعبر عن الإرادة الجمعية للشعوب، وعن أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها. ويمكن اعتبار مفهوم المصلحة الوطنية مفهوماً قيمياً سلوكياً إضافة إلى بعده السياسي والوطني. وعليه يجب الحديث عن مفهوم المصلحة

¹ عدنان أبو ناصر - المشهد السياسي الفلسطيني: أزمت راهنة.. آفاق مطلوبة - مجلة الوحدة الإسلامية - العدد 144 كانون أول 2013 -

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/144/aabunasser.htm>

² ممدوح نوفل - النظام السياسي الفلسطيني بين الداخل والخارج - ندوة مؤسسة مواطن - 05/01/1999م

³ هاني المصري، نحو رؤية استراتيجية تنموية سياسية، صحيفة الأيام، 26/10/2004م.

الوطنية الفلسطينية بكثير من الحذر بسبب خصوصية القضية الفلسطينية، كون الشعب الفلسطيني ما زال يقع تحت الاحتلال وقضيته ما زالت قضية تحرر وطني، إضافة إلى تعدد الفصائل والتنظيمات السياسية العاملة على الساحة الفلسطينية والتي تعددت مرجعياتها الفكرية من (أقصى اليمين إلى أقصى اليسار). وتبني كل فكر رؤيته تجاه أسلوب التحرير ففي الساحة السياسية الفلسطينية العديد من المفاهيم وكأنها مسلمات متفق عليها، وعند إلقاء نظرة سريعة عليها نجد أن هذه المفاهيم التي يروج لها على أنها متفق عليها ضمناً، هي من أكثر المفاهيم تبايناً في التفسير، وفقاً لاختلاف المصالح والمنطلقات والأهداف بين الأحزاب والتنظيمات وحتى بين الأفراد. وكل هذا التناقض والتراشق وحتى الاتهام المتبادل بين الفرقاء الفلسطينيين يتم بادعاء الحرص على المصلحة الوطنية ومن أجل "تحقيق" المصلحة الوطنية العليا.

وإذا كان من الطبيعي أن يخضع مفهوم المصلحة الوطنية للتباين وفق اختلاف المصالح والانتماءات، وأن يختلف مضمون المفهوم بين مرحلة وأخرى وفق الآليات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فإنه من الطبيعي كذلك أن يسعى كل فصيل سياسي أن يصبغ المفهوم بأيدلوجيته الخاصة وفكره السياسي وبرامجه. ولكن الأساس المنطقي المقبول هو أن تعلق المصلحة الوطنية فوق كل الطموحات الشخصية والفئوية والحزبية، بعيداً عن مستنقع المنافع والأحقاد ورواسب الحسابات الذاتية. وعليه فإن محاولة إغفال المصلحة الوطنية يقود نحو الأناثية الضيقة^(١).

ولا خلاف على أن رسم الحلول الصحيحة يحتاج إلى بحث جماعي حر ومحرر من قيود المواقف الحزبية المسبقة والتسامي فوق الجراح التي ألحقها الممارسات الخاطئة بهذا الطرف أو ذاك. وتفرض على السلطة العمل على خلق الظروف الوطنية المواتية للشروع في العلاج. وتلمي على كل أطراف النظام السياسي الفلسطيني وضع المصالح العليا للشعب فوق جميع الاعتبارات الأخرى^(٢). وتغليب التناقض الرئيسي مع الاحتلال على مآعاده^(٣).

النتائج والتوصيات:

كان الدافع لهذا البحث هو المشكلة التي أثارها الواقع المأزوم وانسداد الأفق والصراع والتقاتل والتناحر والانقسام واثار ذلك على المجتمع، وكيفية معالجة ذلك تربوياً حتى لا يتجذر ذلك في الأجيال القادمة ولا في النشء، وذلك من خلال البحث عن أسبابه ومعالجتها، فهذا ما جعلنا نهتم بقضية الانتماء، لأن كل المظاهر السابقة لا تعني أكثر من ضعف الانتماء وطغيان وتقديم الانتماءات الحزبية والفصائلية على الانتماء الوطني، وإن أي قارئ لواقعنا الفلسطيني مهما كانت ثقافته فانه يُقوِّم أبناء هذا البلد

^١ معتصم الكيلاني- المصلحة الوطنية الفلسطينية غاية أم اداة - دنيا الوطن - تاريخ النشر 2015/12/10 م

^٢ سليمان الطماوي - السلطات الثلاث - ط 3 - القاهرة 1974 - ص 17

^٣ ممدوح نوفل -النظام السياسي الفلسطيني بين الداخل والخارج - ندوة مؤسسة مواطن- 01/05/1999 - <http://www.mnofal.ps/ar>

بضعف الانتماء الوطني، وما يحمل هذا الانتماء في طياته من مكونات تتمثل في الحب والتعاطف والولاء والاحترام والطاعة والتجاذب والتماسك والحرية والإيثار. وهذه هي النتيجة التي خرج بها الباحث، مما دفعه الى بيان مفهوم وحقيقة الانتماء والولاء، ثم محاولة رصد المعوقات التي تؤثر على الانتماء والولاء الوطني، ثم تقديم رؤية لكيفية استعادة ورح الانتماء. أما التوصيات فقد جاءت متسقة تماما مع النتائج وهي عبارة عن وسائل تساعد في غرس وتقوية الانتماء الوطني وتتمثل فيما يلي:

- 1- غرس ثقافة الإخوة بين جميع أبناء الوطن وكل مكونات المجتمع.
- 2- نبذ أشكال التمييز والتعصب الحزبي والاعتزاز بجميع أبناء الوطن.
- 3- التعزيز: تقديم الجوائز للمواطنين الذين يظهر لديهم التضحية والولاء للوطن.
- 4- توفير الحاجات الأساسية للمواطنين كافة التي تكفل الحياة الكريمة.
- 5- التثقيف: إشاعة ثقافة الولاء وحب الوطن من خلال وسائل الإعلام وإقامة دورات لأولياء الأمور وخصوصا الأمهات في كيفية تربية الأبناء على المحبة والتعاون والتسامح والتضامن والسلوك الاجتماعي والإيثار للوطن.
- 6- عدم التمييز بين كافة أبناء الوطن في الوظائف وفرص العمل وإعادة الاعتماد
- 7- التقليد: على قادة الأحزاب أن يظهروا أمام الشعب بمنظار التلاحم والتكاتف لأن أبناء الشعب يقلدون سلوكهم.
- 8- رفع الأثقال عن كاهل المواطن وتخفيف الأعباء عنه بما يقوي انتماءه للوطن.
- 9- تنمية احترام النظم والتعليمات، والاتجاهات الوطنية.